لغز سرقة البنسيون



محمود سالم

لغز سرقة البنسيون

تأليف
محمود سالم



لغز سرقة البنسيون

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٧ ٢٣٥٣ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

إجازة بلا عمل

دار «تختخ» بدراجته دورةً واسعةً حول قسم الشرطة، فاستطاع أن يرى من خلال القضبان الحديدية على النافذة رأس الشاويش «فرقع» وهو مائلٌ إلى الأمام على المكتب، وقد انهمك في تحرير أحد المحاضر.

وعندما تأكَّد من وجود الشاويش، عاد مرةً أخرى إلى الإسراع في تشغيل قدمَيه؛ فقد كان يُريد زيارة القسم دون أن يكون الشاويش موجودًا. وأسرعت الدراجة عائدة به إلى «الكازينو»، حيث كان بقية المغامرين الخمسة في انتظاره، وعندما رأوه قد عاد سريعًا، أدركوا أنه لم يتمكَّن من دخول القسم، وأن الشاويش ما زال في مكانه.

هزَّ «تختخ» رأسه للأصدقاء، ففهموا ما يقصد ... كان يُريد أن يقول لهم باختصارٍ شديد إنه فشل في مهمته.

وكان اللغز الذي يشغل بال الأصدقاء هذه المرة من نوعٍ غريب؛ كان مجرَّد حادث سرقة بسيط، لم يكونوا في الظروف العادية يشغلون أنفسهم به، ولكن كان هناك سببان وراء هذا الاهتمام ... الأول أنهم قضوا الإجازة كلها دون أن يقوموا بمغامرةٍ واحدة ... واقترب موعد العودة إلى المدرسة، وهم كُسالى لا يفعلون شيئًا إلَّا اللعب، والقيام برحلاتٍ قصيرة حول «المعادي».

والسبب الثاني هو «لوزة»؛ فقد شاهدت المتهم في الحادث عندما قُبض عيله، وأحزنها ما بدا على وجهه من يأسٍ وخوف، عندما أمسكته يد الشاويش القاسية، وجذبته إلى القسم. وكانت «لوزة» ساعتها قد ذهبت لزيارة صديقة تسكن بجوار «البنسيون» الصغير الذي يقع على النيل، وعلمت منها أن حادث سرقة قد وقع في «البنسيون»، وأن صاحبة «البنسيون» وهي عجوز قد ماتت من الصدمة عندما سُرقت منها تحويشة العمر، التي لا يعلم أحد قيمتها بالضبط.

ووقفت الصديقتان في النافذة ترقبان سيارات رجال الشرطة وهي تُحيط بالمنزل، وكان المتهم عائدًا إلى الفندق في المساء عندما وجد رجال الشرطة في انتظاره، فألقوا القبض عليه …

ولقد لفت نظر «لوزة» بوجهٍ خاص العسكري «شكر» مساعد الشاويش «فرقع»، الذي نُقل حديثًا إلى «المعادي»، وهو رجلٌ قصير القامة سمين للغاية كبير الرأس، يبدو كأنه نائمٌ طول الوقت.

وعندما شهدت «لوزة» كل ما حدث، عادت مسرعةً إلى الأصدقاء لتُخبرهم بما رأت، وقالت إنه من الممكن أن يكون الحادث لغزًا يمكن حله، ولكن «تختخ» احتجَّ قائلًا: إنه ليس هناك أي لغز … فهو حادث سرقة عادي، وقد قبض الشاويش على المتهم، وسوف يُقدَّم للمحاكمة وينتهي الأمر.

كان هذا كل ما حدث يوم الجمعة، وفي يوم السبت وتحت إلحاح «لوزة»، ذهب «تختخ» لزيارة القسم ومقابلة المتهم، ولكنه لم يستطِع فعاد إلى الأصدقاء في «الكازينو».

قال «تختخ» وهو يجلس بجوار الأصدقاء: ما زال الشاويش موجودًا في مكانه. إنه يُشبه القط الذي قبض على الفأر ولن يتركه أبدًا، فهي فرصة لإثبات ذكائه وجدارته، فقد قبض على الفاعل بعد ساعاتٍ قليلة من وقوع الجريمة.

ردَّت «لوزة» وهي تبتلع جرعةً من الزجاجة المثلجة: لقد أثَّر فيَّ شكل الشاب المتهم، خاصةً وقد أخذ يصيح: أنا بريء … إنني لم أسرق شيئًا مطلقًا!

تختخ: على كل حال من أجل خاطر «لوزة» سوف نُحاول معرفة ظروف الحادث بالضبط، وبعدها سنبحث إذا كان يستحق أن نتدخَّل أم لا … وسوف أُجرِّب زيارة الفندق لمعرفة القصة الآن قبل زيارة المتهم في القسم …

ووصفت «لوزة» مكان «البنسيون»، فقام «تختخ» بعد أن اتفق مع الأصدقاء على أن يعودوا إلى منازلهم، على أن يتصل بهم عندما يجمع معلوماتٍ كافية.

عاد «تختخ» يقفز إلى دراجته في هذا اليوم الحار، وهو يتمنَّى أن يعود إلى البيت، ويقف تحت الدش البارد دقائق ثم يأوي إلى فراشه.

وصل «تختخ» إلى مكان «البنسيون» نحو الساعة الثانية عشرة ظهرًا، والشمس حادة في وسط السماء، وليس هناك إلَّا عدد قليل من المارَّة يُسرعون الخطا اتقاءً لنيران الشمس القاسية.

وكالعادة، دار «تختخ» حول «البنسيون» يتأمَّله من الخارج، كان عبارةً عن «فيلا» صغيرة من الطراز القديم مكونة من طابقَين، وتُحيط بها حديقةٌ جميلة وسور من الطوب

الأحمر، وعليه لافتة «بنسيون روز». وعندما انطبعت الصورة في ذهنه، تقدَّم بثباتٍ وضغط الجرس، ومرَّت لحظات، ثم فُتح الباب، وظهرت على العتبة فتاةٌ متوسِّطة السن، ترتدي مريلةً وقالت: نعم …

قال «تختخ» ببساطة: أُريد مقابلة صاحبة «البنسيون».

ردَّت الفتاة في حزن: صاحبة «البنسيون» … لقد ماتت أمس! ألا تعلم؟

تختخ: أليس هناك من يحل محلها؟

الشغَّالة: هناك الأستاذ «جان» ابن شقيقها، ولكنه غير موجود الآن؛ فقد ذهب إلى القاهرة.

تختخ: متى سيعود؟

الشغَّالة: لماذا؟ …

تختخ: أُريد استئجار غرفة في «البنسيون».

نظرت الشغَّالة إليه في ضيقٍ وقالت: إننا لا نُؤجِّر غرفًا للصبيان، فاذهب وأحضر والدك …

تضايق «تختخ» لهذه الملاحظة السخيفة وقال: لا داعي لهذا الأسلوب، فليس من عملك تحديد أعمار السكَّان … هل عندكم غرفة خالية؟

ردَّت الشغَّالة: نعم، هناك غرفة في الدور الثاني! كان يشغلها «محسن» الذي قبض عليه رجال الشرطة …

تختخ: أُريد استئجارها …

الشغَّالة: عندما يعود الأستاذ «جان»، فهناك إصلاحات في أرض الغرفة، حيث كان اللص قد أخفى النقود المسروقة.

أثارت هذه المعلومات انتباه «تختخ» فقال: هل من الممكن أن أشرب كوبًا من الماء؟

الشغَّالة: من الممكن طبعًا.

وما كادت تدخل لتُحضر كوب الماء، حتى دفع «تختخ» باب «البنسيون» ودخل، ثم أغلقه خلفه. كان المكان مُظلمًا نوعًا ما، ورطبًا وباردًا، فأحسَّ «تختخ» بالراحة من حرارة الشمس المحرقة، واختار كرسيًّا قريبًا وجلس عليه، وفي مواجهته تمامًا كانت رخصة «البنسيون» في بروازٍ من الخشب، وبجوارها صورة لسيدةٍ لم يشكَّ «تختخ» لحظةً أنها «روز» صاحبة «البنسيون» التي ماتت أمس؛ فقد كانت ملامحها تنطق بأنها ليست مصرية. وكانت ترتدي ملابس من الطراز القديم، وقبعتها فيها وردة كبيرة.

عادت الشغَّالة بكوب الماء ودُهشت عندما وجدت «تختخ» يجلس في صالة «البنسيون»، ولكن قبل أن تنطق بكلمة أشار «تختخ» إلى الصورة متسائلًا: هل هذه هي مدام «روز»؟

الشغَّالة: نعم.

ولاحظ «تختخ» أن الفتاة قد بدا عليها التأثُّر، فقال: يبدو أنها كانت امرأةً طيبة ...

تنهَّدت الشغَّالة قائلة: يرحمها الله ...

ودقَّ جرس، فقالت: سأصعد إلى فوق، يبدو أن أحد الزبائن يُريد شيئًا ...

وشكرها «تختخ» على كوب الماء البارد، ووقف متظاهرًا بأنه سيخرج، فأسرعت الفتاة إلى السلم الذي يوصل بين الدور الأول والثاني، وأخذت تصعد مسرعة.

وبدلًا من أن ينصرف أخذ يدور في صالة «البنسيون» يتأمَّله. كانت الصالة مربعةً وبها عدة مقاعد للجلوس، ومنصة عالية حيث يجلس عادةً من يُدير «البنسيون»، ثم دهليز طويل على جانبَيه أربع غرف كانت كلها مُغلقة.

وبعد لحظاتٍ سمع «تختخ» صوت أقدام تقترب من الباب، عرف أنها أقدام الشاويش «فرقع» فاختفى خلف الباب، ولم يكد الشاويش يدخل حتى قفز هو خارجًا.

المتهم

انتهز «تختخ» فرصة وجود الشاويش في «البنسيون»، وانطلق مسرعًا بدراجته في الشمس المحرقة إلى القسم، حيث كان المتهم «محسن» ما زال هناك، ولم يُرحَّل بعدُ إلى السجن.

وعندما دخل «تختخ» القسم عرف العسكريَّ «شكر» على الفور كما وصفته «لوزة»، ولم يكن قد رآه من قبل، فاتجه إليه فورًا قائلًا: أنا «توفيق خليل» ... مرحبًا بك في «المعادي» ... ونرجو أن تجد العمل هنا مريحًا.

نظر «شكر» إلى «تختخ» في كسلٍ شديد وكأنه قام لتوِّه من النوم، وكان الحر قد أسال العرق على وجهه ورقبته، فبدا كأنه يعوم، وقال بصوتٍ ثقيل: شكرًا ...

تختخ: أُريد أن أقابل «محسن».

شكر: «محسن» «محسن» آه ... تقصد المجرم الذي سرق مدام «روز»؟ ...

تختخ: نعم أقصد ذلك.

شكر: لماذا تُريد مقابلته؟

اضطُر «تختخ» إلى كذبةٍ بيضاء سريعة، وقال: إنه قريبي.

شكر: لا بد من استئذان النيابة.

تختخ: نيابة؟! ولكن النيابة في حلوان.

شكر: هذه هي التعليمات.

تختخ: ولكن ...

ولكن «شكر» كان قد عاد إلى نومه الثقيل دون أن يرد، فنظر «تختخ» حوله بسرعة ... كانت غرفة الحجز قريبةً وواضحة، فبابها مشبك بالقضبان في النصف العلوي منه، وكان «تختخ» يحتاج إلى ثلاث خطواتٍ فقط ليصل إلى الباب، فلم يتردَّد واتجه مسرعًا على أطراف أصابعه إلى باب الغرفة، ثم نادى بصوتٍ هامس: «محسن» ... «محسن» ...

سمع «تختخ» حركةً في الغرفة المظلمة، ثم ظهر وجه «محسن» من خلال قضبان الباب، وقبل أن ينطق بحرفٍ قال «تختخ»: لا ترفع صوتك، أنا صديقك أُريد مساعدتك.

قال «محسن»: ولكن من أنت؟

ردَّ «تختخ» بسرعة قائلًا: اسمي «توفيق» ... وأصدقائي يدعونني «تختخ»، وأُريد أن أعرف ظروف الحادث كلها.

كان وجه «محسن» يُشبه وجه الطفل، شعره أسود متهدِّل على جبينه الواسع، وعيناه سوداوان، وقد طال شعر لحيته وشاربه، وبدا عليه اليأس الشديد.

نظر «محسن» إلى «تختخ» نظرةً طويلة، وقال: ولكن ... ماذا تستطيع أن تفعل؟! إن الأدلة كلها ضدي.

تختخ: دَعك من هذا اليأس ... وقُل لي ما عندك بسرعة، وباختصارٍ قبل أن يعود الشاويش.

محسن: سأسرد لك الحوادث بسرعة، لقد حدث كل شيء أمس الجمعة ... وهو أول الشهر كما تعلم، فقبضنا المرتبات يوم الخميس كالمعتاد، ونزلتُ إلى القاهرة حيث سهرت وعدت متأخِّرًا، فاستيقظت في التاسعة والنصف صباحًا تقريبًا، وبعد أن أفطرت لبست ثيابي وذهبت لأدفع الإيجار لمدام «روز» ... ثم قاطعه «تختخ»: كم كانت الساعة؟

محسن: كانت حوالي العاشرة والنصف تقريبًا.

كان «تختخ» يُقيِّد المواعيد في ورقةٍ صغيرة فقال: أرجو أن تُحدِّد المواعيد بدقةٍ لأن هذا أمرٌ هام جدًّا ...

استمرَّ «محسن» في حديثه فقال: ثم خرجتُ من عند مدام «روز»، فذهبت إلى غرفة صديقي «كامل» ... لأتفق معه على الذهاب إلى السينما، في حفلة الساعة الثالثة بعد الظهر، ولكنه كان ذاهبًا لمشاهدة مباراة في الكرة، وكان قد ارتدى ثيابه ويستعد للنزول، فتركته وذهبت إلى غرفتي، ثم نزلت فجلست في الصالة بالدور الأول، أقرأ الجريدة لاختيار الفيلم الذي سأدخله، ومرَّ بي «كامل» فحيَّاني وهو خارج، وبعدها بنصف ساعة تقريبًا غادرت «البنسيون» إلى القاهرة ...

تختخ: هل كان في «البنسيون» أحد غيرك؟

محسن: لم يكن هناك أحدٌ في الدور الأرضي؛ فقد خرج الموظَّفون الأربعة الذين يسكنون به منذ الصباح الباكر؛ لأنهم يعملون في شركة طيران، وإجازتهم يوم الأحد وليس يوم الجمعة ...

تختخ: وفي الدور العلوي؟

محسن: كانت مدام «روز» في غرفتها والست «دولت» في غرفةٍ ثانية، وهي سيدة مشلولة تستعمل مقعدًا متحرِّكًا، وهي التي اكتشفت الحادث، بعد أن سمعت صوت جسم مدام «روز» يسقط على الأرض، فاتجهت إلى غرفتها بالمقعد المتحرِّك وأبلغت الشرطة …

تختخ: وما هي أهم الأدلة ضدك؟

محسن: بصماتي التي وُجدت على كرسي في غرفة مدام «روز»، وكمية من النقود المسروقة، وُجدت مُخبَّأةً تحت الألواح الخشبية في أرضية الغرفة التي أسكن بها.

تختخ: أليس في «البنسيون» شغَّالون؟

محسن: نعم، هناك «عمر» الطباخ، والشغَّالة «حسنية»، ولكنهما كانا في الخارج لشراء لوازم الغداء.

تختخ: وماذا قلتَ لرجال الشرطة دفاعًا عن نفسك؟

محسن: قلت لهم إني بريء … فأنا بريءٌ فعلًا.

تختخ: لا أقصد إذا كنت بريئًا أم لا … أقصد ما هو تفسيرك لوجود بصماتك على الكرسي والنقود تحت اللوح الخشبي؟

محسن: بالنسبة للبصمات التي وجدوها على الكرسي، فقد كنت أستند إليه عندما ذهبت لإعطاء الإيجار لمدام «روز» ذلك الصباح.

تختخ: والنقود التي وُجدت بغرفتك؟

محسن: هذا ما لا يمكنني تفسيره … ولا يمكن أبدًا أن أتصوَّر كيف وصلت إلى هذا المكان.

تختخ: إنها طبعًا لم تطِر من غرفة مدام «روز» لتستقر في غرفتك؟

تنهَّد «محسن» في ضيقٍ ويأس وقال: إنها مؤامرةٌ مدبَّرة ضدي؛ فليس من المعقول أن أسرق هذه السيدة المسكينة التي كانت تُحبني، حتى عندما كنت أتأخَّر في دفع الإيجار وهو سبعة جنيهات ونصف جنيه، كانت تُمهلني، بل كانت تُقرضني أحيانًا.

تختخ: من الذي يمكن أن يتآمر ضدك ويضعك في هذا المأزق؟

محسن: لا أدري، فكل من في «البنسيون» أصدقائي، وأنا لم أوذِ أحدًا لينتقم مني بهذه الصورة.

تختخ: وهل كنت تمر بأزمةٍ مالية في الفترة الأخيرة؟

نظر «محسن» إلى «تختخ» بحزنٍ وقال: إنك تسأل مثل رجال الشرطة تمامًا! نعم، لقد كنت في ضائقةٍ مالية فعلًا ... لأنني سوف أتزوَّج قريبًا ... ولكن هذا لا يمكن أن يدفعني إلى السرقة.

تختخ: وهل علمتْ خطيبتك بما حدث؟

محسن: لا أظن ... ولكن الصحفيين جاءوا اليوم إلى هنا ... ونقلوا تفاصيل كل ما حدث كما كُتب في محضر الشرطة ... وغدًا تنشره الجرائد فأُفصل من عملي ... وأفقد خطيبتي ... بل أفقد كل شيء.

واكتفى «تختخ» بهذا وخرج.

بريء ... أم مجرم؟

في الصباح الباكر كان «تختخ» يقرأ جرائد الصباح الثلاثة باهتمام، وكانت تروي كل تفاصيل القصة ... وكان هناك خلافٌ في التفاصيل بين الجرائد الثلاث ... ولكنها أجمعت على أن «محسن» هو المتهم الوحيد. وقرأ «تختخ» أسماء بقية النزلاء في «البنسيون»؛ «علاء» و«كريم» و«فوزي» و«فاروق»، وهم جميعًا موظَّفون في شركات الطيران ... ويسكنون بالدور الأرضي من «البنسيون»، ويعملون يوم الجمعة وإجازاتهم الأسبوعية يوم الأحد، وقد ثبت من التحريات أنهم خرجوا جميعًا في الصباح الباكر إلى أعمالهم.

في الدور العلوي تسكن صاحبة «البنسيون» «روز»، والسيدة «دولت» المشلولة التي تتحرَّك على كرسيٍ ذي عجلات، وهي التي اكتشفت الحادث وأبلغت الشرطة ...

الساكن الثالث في الدور العلوي هو «كامل» ... وهو موظَّفٌ حكومي أيضًا، وصديق «محسن»، وعادةً ما يسهران معًا، وقد دافع عن صديقه بحرارة، ونفى عنه تهمة ارتكاب الجريمة. وكان «كامل» في صباح الحادث قد خرج في حوالي الساعة الحادية عشرة، حيث ذهب إلى أحد النوادي لمشاهدة مباراةٍ في كرة القدم.

الساكن الرابع هو «سيد» وهو موظَّفٌ حكومي أيضًا، وقد خرج منذ الصباح الباكر لزيارة أسرته التي تُقيم في «طنطا»، وهو يقوم بهذه الرحلة أسبوعيًّا في مواعيد محدَّدة.

الساكن الخامس في الدور العلوي «محسن» المتهم، وقالت الجرائد إنه شابٌّ طيب، ولم يسبق أن اتُّهم في شيء ...

وضع «تختخ» الجرائد جانبًا عندما سمع صوت أقدام الأصدقاء وهي تدق السلالم في طريقها إليه، وبعد لحظاتٍ كان أمامه الأربعة، وكلٌّ منهم يحمل جريدةً في يده.

وبعد أن تبادلوا التحية قال «تختخ»: أراكم جميعًا تحملون الجرائد، فهل تحملون استنتاجات جديدةً حول الجريمة؟

هزَّ الجميع رءوسهم بالنفي، ثم قالت «لوزة»: يبدو أنني كنت مخطئةً عندما تصوَّرت أن هذا الشاب بريء ... فالأدلة كلها ضده ... البصمات على الكرسي والنقود في غرفته ...

نوسة: أكثر من هذا ... لقد ذكر مندوب جريدة الأهرام أن السيدة «دولت» المشلولة، سمعت في الثانية بعد الظهر صوت أقدام تعبر الدهليز بين غرفة «محسن» وغرفة مدام «روز»، وهما متقابلتان، وكانت هذه الأقدام خارجةً من غرفة «محسن» أيضًا ... فليس هناك شك في أنه الفاعل.

عاطف: نُريد أن نُعيد تصوير السرقة مرةً أخرى ... لا أقصد تصويرها بالكاميرا، ولكن نُريد أن نُرتِّب الحوادث كما وقعت ... فهل يمكن أن تقوم لنا يا «تختخ» بهذه المهمة؟

تختخ: من كلامي مع «محسن» ومن كلام الجرائد يمكن أن أُعيد تصوير الحوادث كما يأتي: عندما ظهرت شمس صباح يوم الجمعة، استيقظ أولًا الموظَّفون الأربعة الذين يسكنون بالدور الأرضي، وهم عادةً لا يتناولون إفطارهم في «البنسيون» ... وخرجوا بعد شرب الشاي فقط الذي أعدَّته لهم «حسنية» الشغَّالة. في الدور العلوي كانت الحياة في «البنسيون» أقل نشاطًا، فجميع من فيه يستيقظون في هذا اليوم — يوم الإجازة — متأخِّرين ... السيدة «روز» صاحبة «البنسيون»، وهي سيدةٌ عجوز ومريضة تعيش على الأدوية ... ولْنقل إنها استيقظت في الثامنة لإدارة «البنسيون» وقبض الإيجارات، أمَّا السيدة «دولت» وهي سيدةٌ مشلولة تعيش على إيراد منزل في القاهرة، وليس لها زوج ولا أبناء، فلعلها استيقظت بعد ذلك بساعةٍ أو أكثر. وهناك «سيد» الموظَّف وقد خرج في الحادية عشرة صباحًا؛ ليُسافر إلى «طنطا» حيث اعتاد السفر في كل يوم جمعة لزيارة أسرته التي تُقيم هناك. وعندنا «كامل» الموظف وصديق «محسن»، وقد خرج في الحادية عشرة تقريبًا للذهاب إلى النادي؛ ليجد مكانًا كما يفعل هواة الكرة لمشاهدة مباراة في كرة القدم. وهناك «محسن» المتهم، وهو الوحيد الذي بقي في «البنسيون» حتى حوالي الثانية عشرة — حسب أقواله — ثم خرج للغداء في القاهرة كما اعتاد كل يوم جمعة، ولدخول السينما حفلة الساعة الثالثة ... هذا هو ملخَّص الوقائع كما حدثت في ذلك اليوم ...

نوسة: وكيف تمَّت جريمة السرقة؟

تختخ: إن كل شيء في جريمة السرقة قائمٌ على أقوال السيدة «دولت»؛ فهي تقول إنها سمعت في الساعة الثانية تقريبًا صوت خطوات في الدهليز، ثم صوت شهقة قوية، ثم صوت سقوط جسم ثقيل ... فصوَّرت الحادث على أن الخطوات خرجت من غرفة «محسن»، ثم اتجهت إلى غرفة «روز»، وبعد لحظاتٍ سمعت الشهقة، وسقوط الجسم، فأسرعت إلى غرفة «روز» حيث وجدت أنها وقعت على الأرض ميتة، وبجوارها حقيبة يدها مفتوحة ...

عاطف: ألم تسمع صوت الأقدام وهي تعود مرةً أخرى؟

تختخ: نعم ... سمعت أولًا صوت الأقدام تعود إلى غرفة «محسن»، ثم بعدها سمعت هذه الشهقة وسقوط الجسم، فأسرعت إلى الدهليز، ثم إلى غرفة «روز».

مُحب: ولكن «محسن» خرج في الثانية عشرة والجريمة تمَّت في الثانية تقريبًا، فكيف يكون هو مرتكبها؟

تختخ: إنه لم يستطِع إثبات خروجه من «البنسيون» في الثانية عشرة، خاصةً وقد كان الجميع في الخارج، و«حسنية» الشغَّالة ذهبت إلى السوق مع الطباخ «عمر» لشراء لوازم الغداء ... فلم يكن في «البنسيون» إلَّا «روز» و«دولت» و«محسن»، وقد كانت السيدتان في غرفتَيهما، فلم يكن هناك من رآه وهو يُغادر «البنسيون» في هذا الموعد ...

لوزة: لا أمل ... فالجريمة ثابتةٌ عليه فعلًا، وكل شيء ضده، خاصةً صوت الأقدام بين غرفته وغرفة «روز»، ثم وجود النقود في غرفته.

تختخ: في الأغلب سوف يُقدَّم إلى المحاكمة ويصدر الحكم عليه، إلَّا إذا ظهرت أدلةٌ جديدة، وهذا غير متوقَّع على الإطلاق.

مُحب: إذن لا دخل لنا في الموضوع إطلاقًا، وعلينا أن نبحث عن رحلةٍ قصيرة خارج «المعادي»، ننسى فيها هذه الحكاية كلها.

لوزة: سأذهب لزيارة صديقتي التي تسكن بجوار «البنسيون»؛ لأنها طلبت مني كتابًا تقرؤه، وسوف أعود إليكم مرةً أخرى بعد نصف ساعة على الأكثر.

خرجت «لوزة» فركبت دراجتها الصغيرة، ولم يكد «زنجر» يراها حتى أسرع يجري خلفها ...

وكانت «لوزة» تُريد العودة مسرعة، فلما وجدت صديقتها في شرفة البيت، طلبت منها النزول إلى الحديقة لأخذ الكتاب، فنزلت الصديقة بسرعة ودعت «لوزة» للصعود إلى فوق، ولكن «لوزة» رفضت قائلة: إننا نُفكِّر في القيام برحلةٍ أنا والأصدقاء، وأُريد أن أعود مسرعةً إلى هناك لأشترك في الحديث.

قالت الصديقة: أشكرك كثيرًا يا «لوزة» على هذا الكتاب، ومن المؤكَّد أنني سأستمتع بقراءته؛ فقد عاد الهدوء إلى بيتنا.

قالت «لوزة» مستفسرة: وهل كان في منزلكم ضجة؟

الصديقة: كانت الضجة تأتي من «البنسيون»؛ فقد كانت المرحومة مدام «روز» تتشاجر كثيرًا مع السيدة «دولت»، وكان صياحهما يستمر أحيانًا بالساعات ... والآن لم تعد الست «دولت» تجد من تتشاجر معه، فهدأ الشارع كله وأصبحنا ننعم بالهدوء.

استمعت «لوزة» باهتمامٍ إلى حديث صديقتها، ثم استأذنت منها، وأسرعت إلى دراجتها وهي تكاد تطير؛ لأنها حصلت على هذه المعلومات، وقد دُهش «زنجر» كثيرًا لأن صديقته الصغيرة عادت بهذه السرعة، فأخذ يلهث وهو يُتابع الدراجة تحت أشعة الشمس الحارقة.

لم تكد «لوزة» تدخل حتى قطعت الأحاديث الجانبية التي كان يتبادلها الأصدقاء وقالت: هناك معلوماتٌ جديدة …

عاطف: عن أي شيء؟! لغز جديد؟!

لوزة: لا إنها معلوماتٌ عن حادث سرقة «البنسيون».

ونظر إليها الجميع وقد ملأ عيونهم الأمل، فقالت: لقد كانت مدام «روز» والست «دولت» عدوَّتَين … أقصد أنهما كانتا تتشاجران معًا كل يوم، حتى كان صياحهما يملأ الشارع.

قال «عاطف» لأخته متضايقًا: هل هذا كل شيء؟ إنهما كانتا تتخانقان، وهل هذه معلومات هامة؟

تختخ: نعم … هذه معلومات لا بأس بها … وقد قرَّرتُ أن نُعيد النظر في الموضوع كله. فالحادث كله … والقبض على المتهم استند على كلام الست «دولت» ولعلها تكون مخطئة … أو قصدت أن تُدلي بأقوالٍ غير دقيقة، حتى توقع «محسن» في الحادث لإبعاد الشبهة عن شخصٍ آخر.

مُحب: أو … لإبعاد الشبهة عن نفسها.

التفت الجميع إلى «مُحب» مندهشين … فهذه فكرة لم تخطر لهم على بال، ولكن «نوسة» قالت: ما هذا الكلام؟! هل يمكن أن تقوم سيدة عجوز ومشلولة بسرقةٍ من هذا النوع؟

تختخ: لِم لا؟ لقد قرأتُ كثيرًا عن جرائم قامت بها سيدات … ومن أصول عمل رجل الشرطة ألَّا تستبعد شيئًا، وفي اعتقادي أن كلام «لوزة» عن الخناقات التي كانت بين السيدتَين، يدعو إلى إعادة التفكير في الموقف كله.

نوسة: ماذا سنفعل يا «تختخ»؟

تختخ: سنضع قائمةً بالمشتبه فيهم، ونبدأ البحث من جديد.

الساكن الجديد

اتفق «تختخ» مع الأصدقاء على أن يقوم كلٌّ منهم بمتابعة عدد من المشتبه فيهم، ليعرف كيف قضى يوم الحادث بالضبط ... فكان على «مُحب» أن يعرف عنوان شركة الطيران التي يعمل بها الموظَّفون الأربعة، ويسأل عن أماكن وجودهم ساعة الحادث، وهل كانوا في العمل فعلًا أم أنهم غادروه لأي سبب ... وكان على «عاطف» أن يتأكَّد من أن «كامل» ذهب فعلًا إلى النادي لمشاهدة مباراة الكرة ... وأن يتأكَّد أن «سيد» قد سافر إلى «طنطا» في موعده، وكان على «نوسة» و«لوزة» أن تُساعدا «مُحب» و«عاطف» في عملهما، أمَّا «تختخ» فقد كانت له مهمة أخرى، لقد قرَّر أولًا أن يذهب لمحاولة مقابلة «محسن» للمرة الثانية؛ فقد خطر له خاطرٌ هام، لو استطاع أن يصل إلى التحقُّق منه لبدأ خطًّا جديدًا في حل اللغز.

كان الخاطر في رأس «تختخ» هو: هل دخل «محسن» السينما في ذلك اليوم حقًّا أم لم يدخل؟ صحيح أنه من الصعب التأكُّد من ذلك ولكن لا بد من المحاولة.

وهكذا قفز «تختخ» إلى دراجته واتجه إلى القسم، وهو يُفكِّر كيف يستطيع أن يُقنع الشاويش بالسماح له بمقابلة المتهم، أو لعله رحل إلى «حلوان»، حيث وكيل النيابة ليستكمل التحقيق هناك ...

عندما اقترب «تختخ» من القسم كانت في انتظاره مفاجأة طيبة هذه المرة؛ فقد لاحظ وجود تاكسي تنزل منه فتاة على جانبٍ كبير من الجمال، ثم تتجه إلى القسم، فأسرع خلفها، وقرَّر أن يُجرِّب الحديث إليها ... فقد فكَّر أنها قد تكون خطيبة «محسن»، وأنها قد حضرت لزيارته بعد أن قرأت الجرائد، ورأت صورته المنشورة مع أخبار الحادث! وقد

صدق ظن «تختخ»، وكانت الفتاة فعلًا هي خطيبة «محسن»، فقد سألها «تختخ» في جرأة: هل جئتِ لزيارة «محسن»؟ كأنما يخشى ألَّا تكون هي، أو أن تُجيبه بطريقةٍ غير مهذبة، ولكن الفتاة أجابت بأدبٍ وظرف: نعم أنا خطيبة «محسن» ...

تختخ: إن اسمي «توفيق» وأصدقائي يدعونني «تختخ»، وأنا صديق لـ «محسن» وأرغب في مساعدته، ولكني لا أستطيع دخول القسم لأسبابٍ خاصة، فأرجو أن تسألي «محسن» هل معه كعب تذكرة السينما التي دخل بها أول أمس؟ إن ذلك شيءٌ هام، وسوف أنتظرك في الخارج، وقولي لـ «محسن» ألَّا ييأس.

وقف «تختخ» بعيدًا عن القسم في انتظار عودة خطيبة «محسن»، ومرَّت نصف ساعة قبل أن تظهر الفتاة مرةً أخرى، فأسرع إليها فوجد عينَيها محمرَّتَين من أثر البكاء، وقد بدا عليها الحزن، فقال في لهفة: هل وجدتِ شيئًا؟ هل كعب التذكرة معه؟

قالت الفتاة: للأسف ... إنه لا يذكر ماذا فعل ببقية التذكرة ... ولكن في الغالب قد ألقاها على الأرض بعد خروجه من السينما ... لقد فتَّش جيوبه جيدًا فلم يجد شيئًا ... لقد انتهى الأمل تمامًا ... وسوف ينقلونه اليوم إلى «حلوان» لتقوم النيابة بالتحقيق معه هناك.

أحسَّ «تختخ» بخيبة أمل شديدة؛ فحتى آخر خيط تعلَّق به انتهى، وسوف يَلقى «محسن» جزاءه المحتوم سواء أكان مظلومًا أم مجرمًا، ولكن «تختخ» تمالك نفسه وقال: لا تحزني على كل حال ... إنني مؤمنٌ أن الغد سوف يحمل آمالًا جديدة، وخذي رقم تليفوني وعنوان منزلي، واتصلي بي إذا حدث جديد.

قالت الفتاة: شكرًا لك على كل حال، وسوف أذهب الآن لأخذ حاجات «محسن» من «البنسيون».

فكَّر «تختخ» بسرعة ... فقد طرأت على رأسه فكرة قرَّر أن يُنفِّذها فورًا، فقال للفتاة: أرجو ألَّا تأخذي حاجات «محسن» الآن ... أبقيها في مكانها واذهبي للجلوس بـ «الكازينو» الموجود على الكورنيش، وسأعود لك خلال نصف ساعة فلا تتحرَّكي.

كانت فكرة «تختخ» مدهشةً حقًّا ... لقد قرَّر أن يذهب للسكن مكان «محسن» في «البنسيون»، ويُقابل كل من له صلة بالحادث ... ويدرس مكان الحادث جيدًا، فقد يصل إلى شيءٍ جديد.

عندما وصل «تختخ» إلى غرفته كانت الفكرة قد اختمرت في رأسه تمامًا، فخلع ثيابه مسرعًا، وأخذ يتنكَّر في شكل شاب أنيق له شارب رفيع ونظارة سوداء كبيرة، ثم وضع في حقيبته بعض الملابس و«بيجاما»، ومن السلم الخلفي تسلَّل خارجًا من منزله، بعد أن أخذ معه كل ما يملك من نقود.

عندما وصل «تختخ» إلى «الكازينو» كانت الفتاة جالسةً وحدها فاقترب منها، ثم جلس بجانبها قائلًا: لا تخافي.

ذُعرت الفتاة ونظرت إلى الشاب ذي الشارب والنظارة في دهشةٍ شديدة، ثم قالت: ماذا تُريد؟ من أنت؟ لماذا تجلس بجواري؟

تختخ: لا تخافي إني «توفيق» ... «تختخ»!

الفتاة: لا يمكن ... انصرف فورًا وإلَّا استدعيت «الجرسون» لطردك ...

قال «تختخ» مبتسمًا: عظيم جدًّا، إن التنكُّر متقن حقًّا ... إنني «توفيق» الذي كنت معك منذ نصف ساعة ... صديق «محسن». ثم مال حتى قرَّب وجهه من وجهها ونظر حوله فلم يجد أحدًا يراهما، فمدَّ يده ببساطة ورفع طرف شاربه بسرعة قائلًا: وحياة هذا الشارب أنا «توفيق»، ثم أعاد لصق شاربه مسرعًا.

وبرغم حزن الفتاة فلم تستطِع أن تمنع نفسها من الابتسام، وهزَّت رأسها معجبةً به وقالت: إنك شابٌّ مدهش ... لقد أفزعتني ولكن قل لي: ماذا تُريد أن تفعل بالضبط؟

تختخ: سنذهب الآن إلى «البنسيون» ... إنهم يعرفونك هناك أليس كذلك؟

الفتاة: نعم ... فقد زرت «محسن» مع شقيقي بضع مرات.

تختخ: عظيم ... ستُقدِّمينني هناك على أنني قريبك، ولْيكن اسمي «توفيق» كما هو، وتقولين إن حاجات «محسن» ستبقى في مكانها، وإنني سأستعمل غرفته إلى أن ينتهي التحقيق، ومن ناحيتي لن أتكلَّف شيئًا؛ فقد دفع «محسن» الإيجار مقدَّمًا ... وأرجو أن أتمكَّن من الوصول إلى شيءٍ جديد.

قام «تختخ» ومعه الفتاة وسارا ... كانت الشوارع غارقةً في الحر والشمس، وهو يحمل الحقيبة ويلبس «بدلةً» كاملة، فأحسَّ كأنه قد دخل إلى فرن مشتعل، ولكنه تحمَّل في سبيل المغامرة.

تمَّ كل شيء كما رسمه «تختخ»؛ فقد كان «جان» الذي ورث «البنسيون» عن عمته هناك، يجلس على المنصة في الدور الأرضي ... وكانت «حسنية» الشغَّالة والطبَّاخ «عمر» يقفان معه، وبعد دقائقَ كانت «حسنية» تحمل حقيبة «تختخ» إلى الدور العلوي وتفتح له الباب، فدخل بعد أن منحها «بقشيشًا» سخيًّا؛ فقد كان متأكِّدًا أنها ستكون مصدرًا هامًّا للمعلومات.

أخذ «تختخ» يتأمَّل الغرفة ... كانت صغيرةً وقديمة ... بها دولاب وسرير ومكتب صغير وكرسي ... وكرسي «فوتيه» ... وكل شيء يبدو عليه القِدم، وكان بها نافذة تُطل على

الحديقة، فتحها «تختخ» وأطلَّ منها إلى أسفل، فرأى بجوارها شجرةً ضخمةً عتيقة، تصل أفرعها الغليظة القوية حتى النافذة، فقال «تختخ» في نفسه: إن من يتسلَّق هذه الشجرة يستطيع أن يصل ببساطة إلى النافذة ويدخل الغرفة.

وبعد أن فكَّر قليلًا في هذه القفزة الممكنة، اتجه إلى أرضية الغرفة الخشبية. كانت قديمةً ككل شيء في المكان، وقد تشقَّقت الألواح في أكثر من ناحية وبرزت، وكان من الممكن حقًّا أن تُخفى النقود تحتها، ثم توضع السجادة وعليها الكرسي كما حدث. وتنهَّد «تختخ» وهو يقول لنفسه: من المؤكَّد أن الشاويش «فرقع» معه كل الحق؛ فالأدلة كلها تُحيط بالمتهم، ومن الصعب جدًّا أن يجد الإنسان ثغرةً واحدةً في التحقيق وفي الأدلة.

انتهى «تختخ» من فحص كل شيء جيدًا، ثم نشط إلى العمل. كان أهم شيء يُريد عمله هو الحديث إلى الشغَّالة «حسنية» وإلى الست «دولت»، وهكذا مدَّ يده إلى الجرس واستدعى «حسنية».

جاءت الفتاة مسرعة؛ فقد كان البقشيش السخي الذي دفعه «تختخ» مازال يُدفِّئ جيبها، ولعلها ستحصل على بقشيشٍ آخر.

وصلت «حسنية» فقال لها «تختخ»: إنك تعرفين أنني تربطني بـ «محسن» وخطيبته قرابة، وهذا الحادث قد أثَّر علينا كثيرًا وأُريد أن أسألك بضعة أسئلة ... بدا على الفتاة الخوف وقالت: أنا لا أعلم أي شيء، لقد كنت خارج «البنسيون» عندما وقع الحادث ... ثم أخذت دموعها تسيل قائلة: الله يرحمك يا مدام «روز»، لقد كانت طيبة ... إنها هي التي ربَّتني؛ فقد جئت إلى هذا المكان صغيرةً لا أعرف لي أمًّا ولا أبًا ... وقد ربَّتني صغيرة ... وكانت تنوي أن تُزوِّجني من الطبَّاخ «عمر»، ولكن كل شيء انتهى الآن ...

تختخ: هل أنت مخطوبة للطبَّاخ؟

حسنية: نعم يا سيدي، وقد كان في الخارج معي عند وقوع الحادث.

تختخ: هل أنت مقتنعة أن «محسن» هو الذي سرق النقود؟

حسنية: لا أدري يا سيدي ... ولكنه كان آخر من دخل الغرفة لدفع الإيجار لمدام «روز» وكان أول الشهر، ولعله رأى النقود الكثيرة ففقد عقله وسرقها.

تختخ: هل أنتِ متأكِّدة أنه كان آخر من خرج من «البنسيون» في ذلك اليوم؟

حسنية: هذا ما قاله الجميع ... ولكني أنا لم أرَ شيئًا ...

تختخ: ما هو سر الخلاف الدائم الذي كان بين الست «دولت» ومدام «روز»؟

فوجئت «حسنية» بالسؤال فقالت: هل عرفت هذا أيضًا؟

تختخ: إنني سمعت فقط عن هذا الخلاف ...

حسنية: لقد كانت مدام «روز» ساخطةً على الست «دولت»؛ لأنها لا تدفع إلَّا خمسة جنيهات فقط؛ لأنها تسكن بإيجارٍ قديم، ولأن غرفتها صغيرة، وكانت مدام «روز» تُريدها أن تدفع مثل الباقين، أي سبعة جنيهات ونصف جنيه، ولكنها رفضت، وهكذا كانتا تتشاجران طول الوقت، وخاصةً أنه ليس عند الست «دولت» ما يشغلها، فكانت تُضيع وقتها في هذا الخناق.

تختخ: ألم تصطلحا أبدًا؟

حسنية: أبدًا ... أو نادرًا، حتى إن الست «دولت» كانت تُعطي الإيجار للأستاذ «محسن» ليدفعه لها؛ حتى لا تلتقي هي ومدام «روز» وجهًا لوجه، فيثور ساعة الدفع بينهما الشجار حول قيمة الإيجار.

اكتفى «تختخ» بهذا الحديث فصرف «حسنية»، ثم جلس وحيدًا يُفكِّر ... فهناك عشرات الأشياء يجب أن يُفكِّر فيها، وقرَّر أن يُقابل الست «دولت» ويتعرَّف عليها، باعتباره ساكنًا جديدًا في «البنسيون» وجارًا لها.

معلوماتٌ هامة

وقف «تختخ» أمام المرآة بضع دقائق ليتأكَّد من أن كل شيء على ما يرام، خاصةً الشارب الرفيع الذي أضاف إلى عمره عشر سنوات … فلمَّا تأكَّد من كل شيء في الغرفة وقف في الدهليز. كانت غرفة مدام «روز» أمامه مباشرة، وبجوارها غرفة «كامل»، ثم غرفة «سيد»، وبجواره كانت غرفة الست «دولت»، فاتجه إليها ودقَّ الباب فلم يسمع إجابةً أولًا، فدقَّ الباب مرةً أخرى وسمع صوتًا مبحوحًا يُشبه صوت الرجال يقول: ادخل. دفع الباب بيده ودخل فوجد الست «دولت» تجلس أمامه مباشرةً على كرسيها المتحرِّك وظهرها إلى النافذة. كانت سيدةً قصيرة القامة إلى حدٍّ ما، منكوشة الشعر بشكلٍ ملفت للنظر، وكان شعرها أحمر فبدا كهالةٍ من النيران حول وجهها، وكانت عيناها بلون شعرها تقريبًا، وقد بدت فيهما نظرة شرسة كأنها قطةٌ تتأهَّب للقفز.

قال «تختخ» بأدب: أنا الساكن الجديد «توفيق»، لقد سكنتُ في الغرفة المجاورة، ولقد رأيتُ أن أُقدِّم لك نفسي.

قالت الست «دولت»: أهلًا وسهلًا.

أحسَّ «تختخ» بالحرج لأنها لم تدعُه إلى الجلوس، فقال: أرجو ألَّا أكون قد قطعت عليك خلوتك …

دولت: لا أبدًا، تفضل بالجلوس، أين تعمل؟

تختخ: إنني قريب «محسن»، وقد جئت للبقاء بجواره بعض الوقت لحين الانتهاء من التحقيق معه.

دولت: مسكين! لقد كان شابًّا لطيفًا، وكثيرًا ما تدخَّل لفض النزاع بيني وبين المرحومة مدام «روز».

ولدهشة «تختخ» شاهد الدموع تسري جاريةً على خدَّيها، كأنما تتذكَّر شخصًا عزيزًا عليها فقال: يبدو أنك تأثَّرت لوفاة مدام «روز»؟!

دولت: طبعًا ... طبعًا ... إنها عِشرة عمر طويل ... لقد قضيت في هذا المكان أكثر من عشرين سنةً تقريبًا، منذ افتتحته مدام «روز»، وقد كنا صديقتَين.

دُهش «تختخ» مرةً أخرى فقد كانت معلوماته تؤكِّد أنهما لم تكونا كذلك، ويبدو أن دهشته ظهرت على وجهه، فقد قالت الست «دولت»: سيقولون لك إننا كنا نتشاجر دائمًا، وهذا صحيح، ولكن هل الشجار دليلٌ على العداوة؟ أبدًا! لقد كنَّا نتصالح بعد ذلك، لقد كنَّا نتشاجر قرب أول الشهر فقط، عندما تبدأ في المطالبة بسبعة جنيهات ونصف، أجرًا للغرفة التي سكنتها طول عمري بخمسة جنيهات ... وبالطبع كنت أرفض، وبرغم أنها كانت مُصابةً بمرض القلب والضغط وكثير من الأمراض، فإنها لم تكن ترحم نفسها ... كانت تثور في وجهي وتتوعَّدني بالطرد، ولم يكن أمامي إلَّا أن أثور أنا أيضًا في وجهها.

وكأنما أثارت الذكريات أعصابها فبدأت تصيح: هل أنا خائفةٌ منها؟ إنني لا أخاف أحدًا، ولن يستطيع إنسان إخراجي من هذه الغرفة التي قضيت فيها نصف عمري ... لن يستطيع أحد إخراجي من هنا أبدًا ... أبدًا ... قال «تختخ» مهدِّئًا من ثائرتها: طبعًا لن يُخرجك أحدٌ من هنا فهذا حقك، ولكنها بدلًا من أن تهدأ قالت: وقل لهذا الشاب «جان» إنني لن أدفع أكثر من خمسة جنيهات مليمًا واحدًا ... إنني فقيرةٌ ومسكينة وليس لي أحدٌ في الدنيا، وإيجار المنزل الذي ورثته عن زوجي لا يزيد على سبعة عشرة جنيهًا، أسكن منها بخمسة وأصرف الباقي على علاج أمراضي المزمنة، وآكل وألبس ... فماذا يُريدون مني؟!

تختخ: هل أستطيع أن أسألك بضعة أسئلة عن الحادث؟

ردَّت الست «دولت» بجفاء: اسأل ... لقد قلتُ كل شيء لرجال الشرطة، وأنا أذكر كل شيء كأنه حدث منذ دقيقة واحدة ... لقد سرقها «محسن» وماتت من الصدمة، لم يحتمل قلبها رؤية ثروتها تُسرق منها فكف عن الدق ... مسكينة مدام «روز» ... مسكينة ... ليرحمها الله.

وعادت إلى البكاء مرةً أخرى ...

قال «تختخ» في نفسه: ليرحمنا الله نحن أيضًا، يبدو أننا لن نصل إلى شيء، ثم قال بصوتٍ عالٍ: إنني كقريب للأستاذ «محسن» يُهمُّني معرفة الحقيقة، فإذا كان هو السارق فلينزل عليه حكم القانون، أمَّا إذا كان بريئًا فلا شك أنه يُهمُّنا كلنا أن نعرف الحقيقة ... أن نعرف الفاعل الحقيقي.

دولت: إنه هو السارق؛ لقد سمعت خطواته وهو خارجٌ من غرفته متجهًا إلى غرفتها، ثم مضت فترة وسمعت صوت أقدامه وهو يعود إلى الغرفة، وبعد فترة سمعت شهقتها وصوت سقوطها على الأرض، فأسرعت بالكرسي إلى هناك، ووجدتها يا حسرتي وقد وقعت على الأرض و…

وعادت مرةً أخرى إلى البكاء …

قال «تختخ»: البقية في حياتك … كلنا سنموت.

تأكَّد «تختخ» أنه لن يصل إلى شيء هذه المرة، فاستأذن من السيدة ثم خرج، وقرَّر أن يعود إلى البيت للغداء، ويُقابل الأصدقاء ليُخبرهم بما حدث، أو يستمع إلى معلوماتهم …

ووصل عن طريق الباب الخلفي إلى غرفته، فخلع ثياب التنكُّر، وعاد من جديد إلى شخصيته الحقيقية.

تناول «تختخ» طعام الغداء وارتاح قليلًا، ثم اتصل بالأصدقاء وطلب منهم الحضور، وبعد فترةٍ من الوقت حضروا جميعًا، وكانت معهم معلومات هامة.

قال «مُحب»: لقد تابعت الموظَّفين الثلاثة وعرفت أماكن عملهم، إن ثلاثةً منهم هم «فاروق» و«علاء» و«كرم»، يعملون في شركة طيران أجنبية، وقد ذهبت إلى هناك، وبواسطة صديقٍ لوالدي استطعت أن أسأل عن تحرُّكاتهم في يوم الحادث، وقد تأكَّدت أن الثلاثة لم يُغادروا الشركة إلَّا بعد الساعة الرابعة مساءً، فلا يمكن والحالة هذه أن يكون أحدهم قد اقترف الحادث.

تختخ: إن هذا يخفض عدد المشتبه فيهم إلى النصف تقريبًا، فماذا بشأن الموظف الرابع «فوزي».

مُحب: لقد قام «عاطف» بمتابعة المعلومات عن «فوزي»، وعنده معلومات على جانبٍ كبير من الأهمية.

عاطف: إن وراء «فوزي» سرًّا خطيرًا؛ لقد اتضح أنه غارقٌ في مشاكل كبيرة في العمل، وقد ثبت أن عنده عجزًا كبيرًا في عهدته في الشركة التي يعمل بها، وفي يوم الحادث بالتحديد ترك العمل في الساعة الثانية عشرة ظُهرًا ولم يعد إلَّا في الثالثة، ولا يُعرف أين ذهب في هذه الفترة.

تختخ: هذه أنباءٌ هامة فعلًا، وكيف عرفت هذه المعلومات؟

عاطف: ببساطة جدًّا؛ هناك مقهًى صغير أمام الشركة، وقد ذهبت إلى هناك حيث يجتمع الموظفون، وتظاهرتُ بأنني أُريد مقابلة «فوزي»، وكلمة من هنا وكلمة من هناك

عرفت كل شيء، خاصةً أن بواب الشركة الذي كان موجودًا يوم الجمعة أيضًا، هو الذي قال لي عن موعد انصراف «فوزي» وعودته.

تختخ: عملٌ رائع يا «عاطف» بلا شك، فيبدو أن «فوزي» هذا يستحق المتابعة.

عاطف: إنني لم أُكمل معلوماتي بعد ... بل إن الجزء الهام منها سيأتي، فعندما خرج «فوزي» عاد ومعه مبلغ ٢٧,٥ جنيهًا، هي التي كانت تنقص عهدته فدفعها.

وقف «تختخ» عند سماع هذه المعلومات المثيرة، وقال لـ «عاطف»: إنك وضعت يدك على المتهم الحقيقي؛ فيبدو أنه قد خرج من الشركة، وعاد إلى «المعادي» فارتكب الجريمة، وأخذ النقود وعاد لدفعها. إن ذلك يُوضِّح أشياء كثيرة، وسأعود بعد ساعة إلى «البنسيون» وأُحاول معرفة ما حدث.

أمسيةٌ حافلة

عندما صعد «تختخ» إلى غرفته، أسرع يستدعي «حسنية»، وسألها عن نزلاء «البنسيون»، فقالت له إنهم جميعًا هنا، عدا «فاروق» الذي خرج، فسأل عن مكان غرفة «فوزي» فعرَّفته بمكانها، فشكرها ثم منحها «بقشيشًا»، فانصرفت وهي تشكره.

نزل «تختخ» إلى الدور الأرضي، وكان «جان» وارث «البنسيون» يجلس في منصة العمل منهمكًا في الكتابة، وكان شابًّا نحيلًا شديد البياض، ممن يُطلقون عليه «عدو الشمس»، فحيَّاه «تختخ»، فردَّ التحية بسرعة، ثم عاد إلى العمل.

دقَّ «تختخ» باب «فوزي» فسمع صوتًا رفيعًا يقول: تفضَّل. فدخل. كان «فوزي» يجلس في كرسي مرتفع الظهر، فبدا غارقًا فيه؛ فقد كان قصيرًا ونحيلًا يلبس «بيجاما» لا لون لها، ولحيته نابتة، ومظهره يدعو للأسف؛ فقد كان يبدو حزينًا شارد الفكر.

وبعد أن تعارفا قال «تختخ»: آسف لأنني قد أكون أزعجتك، يبدو أنك مشغول الفكر …

قال «فوزي» وهو يقف: أبدًا … أبدًا … تفضَّل بالجلوس. هل أطلب لك زجاجة كوكاكولا؟

تختخ: شكرًا … لقد جئت أُعرِّفك بنفسي كسكَّان في مكانٍ واحد، فإذا كان عندك وقت ففي إمكاننا أن نتحدَّث قليلًا.

فوزي: يُسعدني هذا … وخاصةً أنني بلا أصدقاء.

تختخ: وزملاؤك في السكن؟!

فوزي: إنهم يعملون في شركةٍ واحدة، وهم يأكلون معًا ويسهرون معًا، وقليلًا ما يدعونني لمشاركتهم في شيء، وأنا أعمل في شركةٍ أخرى.

تختخ: إنك لم تكن موجودًا يوم حادث السرقة؟

فوزي: لا ... لم أكن موجودًا ... كنتُ في الشركة.

تختخ: وهل أنت مبسوط في عملك؟

فوزي: نعم ... نعم ... أقصد أنه في الفترة الأخيرة كانت هناك بعض المشاكل، ولكني سوف أترك هذه الشركة وأعمل في شركةٍ أخرى بالإسكندرية، فأنا من هناك ...

تختخ: ومتى ستترك العمل؟

فوزي: سأتركه غدًا، وأُسافر في نفس اليوم؛ فليس عندي شيء يُبقيني هنا ... وكل ما أملكه هو حقيبة ثياب سأحملها وأنطلق.

كانت المعلومات مثيرةً للغاية بالنسبة لـ «تختخ»، وأخذ يُفكِّر هل يسأله لماذا غادر عمله في يوم الحادث وأين ذهب؟ أم أنه قد يُثير شكوكه فيدفعه إلى الهرب، وقرَّر في النهاية ألَّا يسأله، في انتظار الغد ...

عاد «تختخ» إلى الحديث فقال: هل كنت تعرف «محسن»؟

فوزي: ليس أكثر من تبادل التحية إذا التقينا، فهو كان صديقًا لـ «كامل»، وكانا دائمًا يُشاهَدان معًا، ولست أعرف عنه إلَّا أنه كان شابًّا طيبًا.

تختخ: وهل تعتقد أنه هو الذي ارتكب جريمة السرقة؟

فوزي: لا أدري، ولكني قرأت في الجرائد ما يُثبت أنه هو الفاعل، وقد حقَّق معه رجال الشرطة، ووجدوا بصماته في مكان الحادث، كما وجدوا النقود في غرفته.

فكَّر «تختخ» قليلًا، ثم قرَّر أن يتصل بالمفتش «سامي» فورًا، فاستأذن من «فوزي» وخرج، وأسرع إلى التليفون واتصل بالمفتش في المكتب فلم يجده، فاتصل به في المنزل ووجده.

قال المفتش: ماذا وراءك؟ ... هل هناك شيء هام؟

تختخ: بخصوص حادث سرقة مدام «روز».

المفتش: لقد تمَّ القبض على اللص، وأظن أنه نُقل إلى نيابة حلوان لاستكمال التحقيق.

تختخ: إنني أعتقد أن رجال الشرطة لم يقوموا بكل التحريات اللازمة؛ فهناك موظَّف من سكَّان «البنسيون» يدعى «فوزي»، غادر شركته في الساعة الثانية عشرة ولم يعد إلَّا في الثالثة، وقد يكون هو مرتكب الحادث في فترة غيابه عن الشركة ... فهل سأل رجال الشرطة هذا الشخص؟ لقد علمت منه حالًا أنه سيُغادر «المعادي» غدًا آخر النهار، وأخشى أنه بعد أن اطمأن إلى أن التهمة قد أُلصقت بـ «محسن»، سيُغادر مكان الجريمة ولن نعثر له على أثر، وخاصةً أنه كان متهمًا بالإهمال في ضياع مبلغ ٢٧,٥٠ جنيهًا، وقد خرج يوم الحادث وغاب ثلاث ساعات، ثم عاد وسدَّد المبلغ، ولعله سدَّده من المبلغ الذي سرقه!

المفتش: وماذا تُريد بالتحديد؟

تختخ: أن يُسأل «فوزي» عن فترة غيابه عن المصنع، وماذا فعل فيها، ومن أين حصل على النقود، وأرجو أن تتأكَّدوا أن «سيد» ذهب لزيارة أسرته بـ «طنطا» أيضًا.

المفتش: سأُرسل أحد الضبَّاط غدًا لاستجواب «فوزي»، وأتصل بك في المساء في المنزل لأخبرك بما تمَّ بالنسبة للاثنين.

تختخ: أرجو إذا لم تجدني في المنزل أن تسأل عني في «البنسيون».

المفتش: «البنسيون»؟! ماذا تفعل هناك؟

تختخ: إنني أُحقِّق الحادث على الطبيعة.

المفتش: شيءٌ مدهش للغاية! لقد تقدَّمت جدًّا في وسائل عملك، وأخشى أن أطلب منك ألَّا تتصرَّف بهذه الطريقة، وإلَّا عرَّضت نفسك للخطر.

تختخ: لا تخف يا حضرة المفتش، وهذه القضية ليس فيها عنف ولا عصابات، إنها مجرد قضية غامضة تحتاج إلى بعض التفكير والتحريات.

انتهى «تختخ» من الحديث مع المفتش، فقرَّر أن يبحث عن «كامل» صديق «محسن»، ويطلب منه مساعدته في مراقبة «فوزي» … وقد وجده يجلس في صالة «البنسيون» يُطالع الجرائد.

كان «كامل» شابًّا طويلًا عريض الكتفَين، كثيف الشعر، يجلس في هدوءٍ واسترخاء … فلمَّا ناداه «تختخ» قائلًا: أستاذ «كامل» … انتبه بسرعة، ثم قال في صوتٍ حاد: أفندم.

قال «تختخ» مقدِّمًا نفسه: اسمي «توفيق»، وأنا صديق لصديقك العزيز «محسن».

قال «كامل»: من الغريب أنني لم أرَك من قبل … ولكن مرحبًا بك، ما الذي جاء بك هنا؟

تختخ: إنني في الواقع قريب لخطيبة «محسن»، وقد حضرت لأخذ حاجاته، فقرَّرت قضاء بعض الوقت هنا باحثًا عن حقيقة هذا الحادث العجيب.

كامل: أي عجب فيه؟

تختخ: أليس عجيبًا أن يندفع شاب مثل «محسن» إلى جريمة السرقة؟

قال «تختخ» هذه الجملة ليرى أثرها في «كامل» … الذي اندفع قائلًا: إنني متأكِّد أن «محسن» لم يرتكب هذه الحماقة، ولكن للأسف إن الظروف كلها ضده … الأدلة التي جمعها رجال الشرطة تُؤكِّد أنه هو الذي ارتكب الجريمة، خاصةً أنهم وجدوا النقود تحت لوح الخشب الثالث في غرفته …

تختخ: لقد قرأتُ كل ما كُتب عن الحادث ... وأنا مثلك أرى أن الأدلة قوية جدًّا، ولكن هناك شيئًا أُحب أن أعرفه ... هل دخلت غرفة مدام «روز» يوم الجريمة؟

كامل: لا أبدًا ... أبدًا ... لقد كان وقتي ضيِّقًا، وبعدما ارتديت ملابسي، وأنا في طريقي إلى مغادرة «البنسيون»، قابلتني الست «دولت»، وأعطتني الإيجار حتى أدفعه لمدام «روز»، ولكني لم أدفعه لاستعجالي، وفكَّرت أن أدفعه لها عند عودتي في المساء ... لماذا تسأل؟

تختخ: لقد عثرت على متهمٍ جديد!

لمعت عينا «كامل» وهو ينظر إلى «تختخ» في ارتياب وقال: أنت؟!

قال «تختخ»: نعم إنني أشك في «فوزي».

كامل: ولكن «فوزي» كان في الشركة ساعة ارتكاب الجريمة.

تختخ: لقد غادر الشركة لمدة ثلاث ساعات بين الساعة الثانية عشرة والساعة الثالثة، وهي مدة كافية جدًّا لكي يحضر إلى «البنسيون» ويقوم بالسرقة، ثم يعود إلى الشركة، وخاصةً قد كانت عنده عهدة ناقصة قيمتها ٢٧٫٥ جنيهًا دفعها في ذلك اليوم ... بل بعد عودته مباشرة.

أشعل «كامل» سيجارةً بطريقةٍ عصبية وقال: إذا كان ذلك صحيحًا؛ فليس هناك أي شك في أنه هو الذي ارتكب الجريمة، ويجب إبلاغ الشرطة فورًا.

تختخ: لقد أبلغتُ الشرطة فعلًا.

كامل: وهل قبضوا عليه؟

تختخ: إن رجال الشرطة يقومون بالتحريات، المهم الآن ألَّا نتركه يُفلت من بين أيدينا، فقد يشك أننا نشتبه فيه، فيغادر «البنسيون» ولا نعثر عليه.

كامل: وماذا نفعل الآن؟

تختخ: سوف أُراقبه حتى منتصف الليل، ثم تقوم أنت بمراقبته حتى الصباح ... هل تستطيع السهر؟

كامل: بالطبع ... وإذا حاول الفرار فسوف أضربه حتى لا يتمكَّن من السير.

تختخ: لا داعي للعنف ... وعليك في هذه الحالة فقط الاتصال بالشاويش «علي»، وسوف يحضر فورًا، وقل له إنها تعليماتٌ من المفتش «سامي».

كامل: اتفقنا ... إن براءة «محسن» هي أجمل أمنية يمكن أن تتحقَّق لنا جميعًا.

ترك «تختخ» «كامل» بعد هذا الاتفاق وصعد إلى غرفته، فجلس قليلًا ... وأحضر كتابًا، ثم نزل مرةً أخرى إلى الصالة، حيث لا يمكن لأحدٍ أن يخرج دون أن يمر به، ثم جلس يقرأ الكتاب ويُراقب الباب.

أخذ نزلاء «البنسيون» يتسلَّون بمشاهدة التليفزيون فترةً من الوقت ... ثم مضوا جميعًا إلى غرفهم عدا الشغَّالة «حسنية»، التي أخذت تتفرَّج على فيلم عربي بطولة «إسماعيل ياسين».

فكَّر «تختخ» أن يتحدَّث معها قليلًا ... فقال لها: «حسنية» ... هل هناك أحد يتردَّد على المنزل بانتظام؟

قالت «حسنية»: إننا نقوم بإحضار جميع لوازم «البنسيون» أنا و«عمر»، والشيء الوحيد الذي يُحضره صاحبه هو اللبن، وبائع اللبن يأتي في ساعةٍ مبكِّرة من الصباح ... حوالي الساعة السادسة والنصف.

تختخ: ومن الذي يدفع له ثمن اللبن؟ هل تستيقظ مدام «روز» في هذه الساعة المبكرة؟

حسنية: لا طبعًا، إنما كانت عادةً لا تستيقظ قبل الساعة الثامنة، وعادةً كان «فتحي» بائع اللبن يحضر في الساعة الواحدة أو بعدها بقليلٍ ليأخذ ثمن اللبن، وهو حوالي ثلاثين قرشًا.

تختخ: إذن فبائع اللبن «فتحي» قد حضر في الوقت الذي ارتُكب فيه جريمة السرقة تقريبًا؟

حسنية: لا أدري يا أستاذ، ولم يسألني أحدٌ من قبلُ هذا السؤال.

تختخ: أين محل بائع اللبن هذا؟

حسنية: إنه في الشارع المجاور لقسم الشرطة.

فقال «تختخ» لنفسه: إنني أعرف هذا المحل، وقد تذكَّرت الآن شكل «فتحي»؛ فقد كان يُمدُّنا باللبن من قبل.

وانصرفت «حسنية» وتركت «تختخ» غارقًا في أفكاره. لقد كانت أمسيةً حافلةً بالمعلومات، ولكن أهمها جميعًا كان ظهور بائع اللبن على مسرح الحوادث ... ومضى الوقت بين التفكير والقراءة، وقرب منتصف الليل ظهر «كامل»، فتبادل التحية مع «تختخ»، الذي صعد إلى غرفته فوق غصون الشجرة، واستطاع النزول إلى الحديقة ... ثم قفز السور عائدًا إلى منزله، وخلع ملابسه واستسلم للنوم ...

يوم المفاجآت

استيقظ «تختخ» مبكِّرًا جدًّا وأسرع يرتدي ملابس تنكُّره، وذهب إلى «البنسيون» قبل أن يستيقظ أحد … فتسلَّق الشجرة مرةً أخرى … ودخل غرفته، ثم فتح بابها ونزل إلى الصالة، وكم كانت دهشته أن وجد «كامل» نائمًا وهو جالس على كرسي في الصالة! … وكان أول ما خطر ببال «تختخ» أن يكون «فوزي» قد هرب، فأسرع إلى غرفته، وكم أحسَّ بالغضب لأن مخاوفه تحقَّقت؛ فقد كانت الغرفة خاليةً ولا أثر لـ «فوزي» فيها! … إذن أفلت العصفور من القفص، هكذا قال «تختخ» وهو يتأمَّل الغرفة الخالية … لقد استيقظ «فوزي» في الخامسة على الأكثر، ثم ترك «البنسيون» وذهب إلى حيث لا يدري أحد …

لم يكن أمام «تختخ» ما يفعله في هذه الساعة المبكِّرة من الصباح إلَّا أن يذهب إلى غرفته ويستلقي على سريره … لقد أفلت «فوزي» بالأمل الباقي لتبرئة «محسن»، ولم يعد في إمكانه أن يفعل شيئًا … فهو لن يستطيع مطاردته في مصر كلها … إن هذا هو واجب رجال الشرطة، أمَّا هو فسوف يعود إلى منزله في نفس اليوم … وأخذ يلوم نفسه لأنه لم يبقَ في «البنسيون» ليُراقب «فوزي» بنفسه، بدلًا من أن يترك رقابته لـ «كامل» الذي استسلم للنوم … استسلم «تختخ» للنوم وهو بملابسه، وعندما استيقظ كانت الساعة التاسعة، ووجد «كامل» قد ترك له ورقةً مع الشغَّالة «حسنية» يقول فيها: آسف جدًّا لأنني استسلمت للنوم … وعندما استيقظت في السابعة وهو موعدي المعتاد؛ وجدت أن «فوزي» قد رحل … فأرجو أن تُبلِّغ رجال الشرطة حالًا … وقد اضطُررت للذهاب إلى العمل، ولم أشأ أن أوقظك من النوم …

غادر «تختخ» «البنسيون» متجهًا إلى بائع اللبن … وبعد أن ترك رسالةً تليفونيةً للمفتش «سامي»، أخبره بما حدث من «فوزي».

وصل «تختخ» إلى محل ألبان «السلطان»، الذي يعمل فيه «فتحي»، فوجد أنه خرج لتوزيع اللبن على الزبائن ... فجلس في مقهًى قريب ينتظره، وقد استغرق في خواطرَ يائسة ... بعد أن أفلت منه «فوزي»، وبعد نحو ساعة حضر «فتحي»، ولمحه «تختخ» وهو ينزل من على دراجته، التي يُوزِّع عليها اللبن فأسرع إليه.

قال «تختخ»: أُريد أن أتحدَّث معك قليلًا يا «فتحي» عن مدام «روز».

بدأ الارتباك على بائع اللبن الشاب وقال: ماذا تُريد أن تعرف عن مدام «روز»؟ لقد ماتت.

تختخ: إنني أعرف أنها ماتت، ولكني أُريد أن أتحدَّث إليك عن يوم حادث السرقة؛ فقد كنتَ هناك.

قال «فتحي» بصرامة: أرجوك يا أستاذ لا تحشرني في هذا الموضوع، إنني لا أعرف شيئًا.

تختخ: بل أنت تعرف أشياء كثيرة ... وإذا لم تتحدَّث معي فسوف تُضطر إلى الحديث إلى رجال الشرطة، ومن الممكن أن يكونوا هنا في خلال دقائق.

فتحي: ماذا تُريد يا أستاذ؟ ... أرجوك اتركني في حالي، فليس لي دخل في هذا الموضوع ...

تختخ: إنني لا أتهمك بشيء ... فقط أُريد أن أسألك بعض الأسئلة.

فتحي: تفضَّل.

تختخ: هل ذهبت إلى «بنسيون» «روز» في يوم الحادث؟

فتحي: نعم ذهبتُ إلى هناك مرَّتَين.

تختخ: كم كانت الساعة في المرة الأولى؟

فتحي: حوالي الحادية عشرة إلَّا ربعًا.

تختخ: صِف لي بالضبط جميع خطواتك منذ دخولك إلى «البنسيون» حتى خروجك منه.

فتحي: لقد تأخَّرتُ في ذلك اليوم عن موعدي المعتاد، لذلك فكَّرت أن مدام «روز» قد تدفع لي الحساب، وأنه لا داعي لذهابي مرةً أخرى في نفس اليوم، فلمَّا دخلت من الباب الخلفي كما اعتدت أن أفعل ولم أجد أحدًا، ناديت على «حسنية» ولكنها لم ترد، فتركت كمية اللبن المعتادة، ثم صعدت إلى الدور الثاني وتوجَّهت إلى غرفة مدام «روز».

تختخ: كانت ما تزال حية؟

فتحي: طبعًا يا أستاذ كانت حية ... وكانت تجلس في سريرها، فطلبت منها ثمن اللبن.

تختخ: كم كان المبلغ المطلوب؟

فتحي: ثلاثون قرشًا كالمعتاد.

تختخ: ماذا حدث؟

فتحي: قالت إنه ليس معها فكة ... فتشتْ في حقيبة يدها فلم تجد، ثم مدَّت يدها تحت مخدة السرير، وأخرجت لفةً كبيرةً من النقود كلها من فئة «العشرة جنيهات والخمسة جنيهات» ... وطلبت مني أن أعود في الواحدة بعد عودة «حسنية» و«عمر» من السوق ...

تختخ: ألم يكن معكَ أنت فكة؟

فتحي: لا يا أستاذ ... قد يكون معي بقية جنيه أو خمسين قرشًا ... ولكن عشرة جنيهات لا يمكن، فأنا أجمع النقود صباحًا وأُسلِّمها إلى صاحب المحل، ولا يبقى معي إلَّا بعض القروش التي أملكها أنا شخصيًّا.

تختخ: هل أنت متأكِّد أنها لم يكن معها فكة؟

فتحي: طبعًا يا أستاذ ... وهل هناك داعٍ لأن أكذب عليك؟ إنني حتى لم أقل للمعلم ماذا حدث عندما علمت بموتها، ودفعت الثلاثين قرشًا من جيبي حتى لا أتعرَّض لأسئلة رجال الشرطة.

تختخ: ولماذا تخاف من أسئلة رجال الشرطة؟

فتحي: في الحقيقة إنني عندما عدت في حوالي الثانية إلَّا ربعًا، وجدت باب المطبخ مفتوحًا، ولكن «حسنية» لم تكن موجودةً فيه، فدخلت المنزل وناديت عليها ولكن لم يُجبني أحد ... وبعد ثوانٍ مرَّ أمامي الأستاذ «فوزي»، وكان يبدو مضطربًا، فتركته وصعدت إلى غرفة مدام «روز»، آملًا أن تكون حصلت على الفكة المطلوبة، ولكني وجدتها نائمةً فلم أشأ أن أوقظها، وقرَّرت العودة الساعة الخامسة، عندما أُوزِّع اللبن على بعض البيوت في المساء، فوجدت رجال الشرطة يملئون المكان ... وقابلت الأستاذ «فوزي» الذي طلب مني ألَّا أتقدَّم بشهادتي، حتى لا يشك فيَّ أو فيه رجال الشرطة، فتركت المكان ولم أذكر لأحدٍ هذا الكلام ... وأرجو يا أستاذ ألَّا تقوله لأحد ... فأنا بصراحةٍ لي سابقة سرقة ... وإذا علم رجال الشرطة بوجودي في مكان الحادث؛ فسوف يقبضون عليَّ وأفقد عملي ...

تختخ: ولكنهم قبضوا على الفاعل وهو الأستاذ «محسن» ...

هزَّ «فتحي» رأسه، ثم قال: صدِّقني يا أستاذ أنا لا أظن أن الأستاذ «محسن» هو مرتكب الحادث ... فهو رجلٌ لطيف ومؤدَّب، وكان دائمًا يُحييني ويتلطَّف معي ... لا يمكن أن يكون هو ...

تختخ: ومن الذي تشك فيه؟

فتحي: لا أعرف يا أستاذ ... لقد نهانا الدين عن الظن بالناس، أعوذ بالله من الظن ...

تختخ: أنصحك أن تذهب وتدلي بشهادتك لرجال الشرطة؛ فقد تبرئ الأستاذ «محسن».

فتحي: سوف يضعونني في الحبس فورًا، وإذا عرف المعلم أن لي سابقةً فلن يُعيدني إلى عملي مرةً أخرى ... وأنا رجلٌ متزوِّج وعندي بنت، وقد استقمت وتبت إلى الله فدعني وشأني.

تختخ: أعدك ألَّا يُضايقك رجال الشرطة إذا بقيت في مكانك، ولم تُغادر «المعادي» حتى أطلبك، فهل تعدني بذلك.

فتحي: أعدك يا أستاذ وأُقسم لك برقبة بنتي «فاطمة» إنني لن أترك مكاني حتى تطلبني.

تأكَّد «تختخ» من صدق «فتحي»، وكان الوقت يمضي سريعًا وهو يُريد أن يعود حتى يُعاود الاتصال بالمفتش ... فقد ضاقت الحلقة حول «فوزي»، ولا بد من العثور عليه ...

عاد «تختخ» إلى «البنسيون» وسأل إذا كان أحدٌ قد سأل عنه، فوجد رسالةً من «مُحب» يُريد الاطمئنان عليه ... فأسرع يتصل به وروى له بسرعةٍ ما حدث منذ تركهم أمس، حتى عودته إلى «البنسيون» بعد مقابلة «فتحي»، ثم طلب منه أن يُسرع هو و«عاطف» إلى الشركة التي يعمل بها «فوزي» لعله يجده هناك، ثم يتصل به إذا كانت هناك معلوماتٍ هامة.

أدار «تختخ» قرص التليفون ليطلب المفتش، ولكن الحرارة ضاعت من التليفون ولم ينطق. جرب مرةً ... ومرة ... وعشر مرات، ولكن التليفون أصبح جثّةً هامدةً ليس فيه حرارة ...

لم يُضيِّع «تختخ» الوقت، بل صعد إلى فوق وقابل السيدة «دولت»، وسألها إن كانت قد سمعت صوت أقدام بائع اللبن يوم الحادث، فقالت: طبعًا، إنني أعرف وصوله من صوت دراجته وأواني اللبن التي ترن ... وقد سمعت صوت خطواته وهو يدخل غرفة مدام «روز» ويخرج منها.

تختخ: هل كان ذلك قبل أو بعد سماعك الشهقة، وصوت جسم مدام «روز» وهو يسقط على الأرض؟

دولت: بالطبع جاء بائع اللبن قبل ذلك بدقائق ... ربما عشر دقائق تقريبًا.

تختخ: هل دفعت إيجار حجرتك لمدام «روز» في يوم الحادث؟

دولت: نعم ...

تختخ: كم ...؟

دولت: المبلغ الذي أدفعه منذ عشرين عامًا، خمسة جنيهات ورقة واحدة.

سمع «تختخ» في هذه اللحظة من يُنادي عليه، فأدرك أنه مطلوبٌ على التليفون، فاعتذر للسيدة «دولت» ثم أسرع ينزل السلم جريًا، حيث وجد المفتش يتحدَّث إليه ...

قال «تختخ»: هل علمت بما حدث؟ لقد هرب «فوزي»».

المفتش: علمت ... فقد بحث عنه الضابط في الشركة، فقالوا إنه لم يحضر اليوم، وسأل عنه في «البنسيون» فلم يجده هناك.

تختخ: إذن لقد أفلت منا إلى الأبد.

المفتش: لا تخف ... لقد عرفنا أنه من «الإسكندرية»، فوضعت له عدة كمائن على مدخل المدينة، ولن يستطيع دخول «الإسكندرية» إلَّا بعد القبض عليه.

تختخ: هذا عظيم، الآن فقط أُحس أنني مطمئن إلى أن الطير لم يهرب منا ... وماذا بخصوص الأستاذ «سيد»؟

المفتش: لقد ثبت فعلًا أنه ذهب إلى «طنطا» في نفس اليوم الساعة العاشرة والنصف صباحًا ... وما زال هناك في إجازة لمدة أسبوع.

تختخ: هناك معلوماتٌ جديدة عن «فوزي»، لقد عاد إلى «البنسيون» في يوم الحادث، وقد قابله بائع اللبن ولكنهما اتفقا معًا على الصمت، وقرَّرا ألَّا يتحدَّثا إلى رجال الشرطة، وبالنسبة لـ «فتحي» فهو خائفٌ منكم؛ لأن له سابقةً وخشي أن تقبضوا عليه، فيطرده صاحب المحل من عمله ... وقد وعدني أنه لن يُغادر «المعادي» حتى تسألوه ... وأرجو يا حضرة المفتش أن تُعاملوه برفق، وألَّا تُخبروا أحدًا عن سابقته فقد وعدته بحمايته.

المفتش: لا بأس ... سوف نُنفِّذ وعدك له ... إلَّا إذا ثبت أن له صلةً بحادث السرقة.

تختخ: بالتأكيد ... وبهذه المناسبة يا حضرة المفتش أين «محسن» الآن؟

المفتش: لقد نُقل إلى سجن مصر تمهيدًا لمحاكمته.

تختخ: أُريد أن تسأله سؤالًا واحدًا خطر ببالي.

المفتش: أي سؤال؟

تختخ: هل المبلغ الذي دفعه لمدام «روز» كإيجارٍ لغرفته كان فكةً أم لا ...؟

المفتش: وما دخل الفكة وغير الفكة في حادث السرقة؟

تختخ: هناك فكرة في رأسي قد تُؤدِّي إلى شيء.

المفتش: لا بأس، سوف نسأله السؤال ونُبلغك.

وانتهت المكالمة ... فصعد «تختخ» إلى غرفة السيدة «دولت» لإكمال الحديث معها، ولكنه وجدها نائمةً في كرسيها، وقد ارتفع شخيرها يملأ جو الغرفة الصغيرة.

في المصيدة

خرج «تختخ» واتجه إلى منزله واستطاع كالمعتاد التسلُّل من الباب الخلفي والدخول إلى غرفته، حيث خلع ثياب التنكُّر وجلس يُفكِّر في لغز النقود ... بعد أن اتصل تليفونيًّا بـ «نوسة» و«لوزة» ... فحضرتا على الفور ...

قالت «لوزة»: إننا لم نقم بأي جهدٍ في حل هذا اللغز، وأنت و«مُحب» و«عاطف» ... تقومون بكل العمل.

تختخ: على كل حال أنت التي بدأت هذا اللغز، ولا بد أن ننتهي منه سريعًا؛ فلم يبقَ سوى ثلاثة أيام على دخول المدرسة، وليس أمامنا وقت.

نوسة: وإلى أي حدٍّ وصلت الآن؟

تختخ: الشبهات كلها تُحيط بـ «فوزي» الذي يسكن في الدور الأرضي؛ فقد ثبت أنه غادر الشركة بين الساعة الثانية عشرة والثالثة، وأنه خرج لإحضار نقود لسد في عهدته ... وقد قابله بائع اللبن في «البنسيون» حوالي الساعة الثانية إلَّا ربعًا، وعندما عُرفت جريمة السرقة اتفق معه على عدم الإدلاء بشهادة لرجال الشرطة.

لوزة: ولماذا لم تقبض الشرطة على «فوزي»؟

تختخ: لقد استطاع الفرار في الصباح الباكر، وكنتُ قد اتفقت مع «كامل» على مراقبته، ولكن «كامل» استسلم للنوم وترك العصفور يطير من القفص.

لوزة: وما العمل الآن؟

تختخ: إن العملية كلها في أيدي رجال الشرطة، وقد وضعوا عدة كمائن على مداخل «الإسكندرية»؛ لأن المعتقَد أنه اتجه إلى هناك ... وفي الأغلب سوف يقبضون عليه.

نوسة: إذن لقد انتهت القضية عند هذا الحد.

تختخ: للأسف لا … فهناك أدلةٌ جديدة تقلب نظرياتنا رأسًا على عقب، وقد لا يكون «فوزي» هو اللص.

نوسة: غير معقول! … إن القضية واضحة جدًّا.

تختخ: سأقول لكما على ما يدور في رأسي فحاولا التفكير معي … سنُصدِّق «محسن» مؤقَّتًا ونتفق معه على أنه ذهب إلى مدام «روز» في العاشرة والنصف لدفع الإيجار. لقد دفع لها سبعة جنيهات ونصف جنيه، وسنفترض أن المبلغ كان فكة «خمسة جنيهات» وجنيهَين ونصف جنيه … لقد ذهب «فتحي» بائع اللبن إلى مدام «روز» بعد ذلك، ولْنقل في الحادية عشرة إلَّا ربعًا؛ ليُحاسبها على ثمن اللبن فلم يجد معها فكة، وكما قال كان كل ما معها من نقودٍ من فئة «العشرة جنيهات والخمسة جنيهات» … فأين اختفى الجنيهان والنصف؟

لوزة: وماذا يعني كل هذا …؟

تختخ: يعني أن شخصًا ثالثًا دخل غرفة مدام «روز»، بعد العاشرة والنصف وقبل الحادية عشرة إلَّا ربعًا، أي بين دخول «محسن» ودخول بائع اللبن، وهذا الشخص لم يتقدَّم بالشهادة لرجال الشرطة فمن هو؟ هل هو «فوزي» أم شخصٌ آخر؟

لوزة: ولكن قد يكون «محسن» قد دفع المبلغ عشرة جنيهات مجمَّدةً وأخذ الباقي، وفي هذه الحالة تنهار هذه الفكرة …

تختخ: تمامًا، أنت ذكية للغاية يا «لوزة»، وقد طلبتُ من المفتش أن يسأل «محسن» عن المبلغ الذي دفعه، وهل كان فكةً أم مجمَّدًا؟

نوسة: بالضبط … وعلى كل حال إذا قبضوا على «فوزي»؛ فسوف تكون لشهادته قيمة هامة!

مضت فترة والأصدقاء الثلاثة يتحدَّثون في اللغز، ثم حضر «مُحب» و«عاطف» من المشوار الذي ذهبا إليه للبحث عن «فوزي»، فقال «مُحب»: لم يذهب «فوزي» للشركة اليوم على الإطلاق.

تختخ: آسف جدًّا لأنني أُتعبكما معي … فقد علمت من المفتش «سامي» أن «فوزي» لم يذهب إلى الشركة، وأنا شخصيًّا توقَّعت هذا منذ الصباح الباكر، عندما عرفتُ أنه غادر «البنسيون» دون أن يراه أحد، ولعله أحسَّ من حديثي معه أنني اشتبهت فيه … أو لعله خاف أن يتكلَّم «فتحي» فقرَّر الفرار.

عاطف: وهل أنت متأكِّدٌ أنه اللص؟

تختخ: ليس هناك شيء مؤكَّد حتى نصل إلى كل الإجابات التي نُريدها عن الأسئلة.

ثم شرح «تختخ» لـ «مُحب» و«عاطف» فكرته حول النقود الفكة والمجمَّدة، وقال لهما إنه في انتظار ردِّ المفتش بعد سؤال «محسن».

في هذه اللحظة دقَّ جرس التليفون في الدور الأسفل، وسمع الأصدقاء والدة «تختخ» وهي ترد عليه ... وبعد لحظاتٍ سمعوها تنادي: «توفيق» ... «توفيق» ... تليفون لك من المفتش «سامي» ...

أسرع «تختخ» إلى تحت ولم يُطِق الأصدقاء صبرًا على البقاء، فنزلوا خلفه، وأخذت والدة «تختخ» تنظر إليهم في دهشة وهم ملتفُّون حول التليفون في اهتمامٍ بالغ.

سمع «تختخ» صوت المفتش يقول في مرح: لقد وقع «فوزي» في المصيدة، واستطاع رجالنا القبض عليه في الأوتوبيس الصحراوي عند مدخل مدينة «الإسكندرية»، وكان معهم أوصافه كاملة.

تختخ: وهل اعترف بأنه اللص؟

المفتش: أبدًا ... إنه يُنكر كل شيء ويقول إنه لم يرَ مدام «روز» في ذلك اليوم؛ لأنه لم يكن يملك أجرة الغرفة ليدفعها لها.

تختخ: وما هو الموقف؟

المفتش: سنأتي إلى «المعادي» وهو معنا بعد حوالي أربع ساعات، وسوف نُواجهه بالأدلة وبكلام «فتحي» بائع اللبن، وسيُضطر إلى الاعتراف أمام الأدلة.

تختخ: وهل سألتم «محسن» عن نوع النقود التي دفعها لمدام «روز»؟ ... وهل كانت مجمَّدةً أم فكة؟

المفتش: لم نسأل بعد، ولكنني اتصلت تليفونيًّا بالسجن، وطلبت من الضابط المسئول سؤال «محسن»، ولم أتلقَّ ردًّا حتى الآن ... فلتبقَ في المنزل لأتصل بك ... أو أحضر مع المتهم «فوزي».

تختخ: من المهم جدًّا معرفة الإجابة عن سؤال «محسن»، فأرجو أن يصلني رد حالًا.

المفتش «سامي»: سأتصل بك بعد نصف ساعة على الأكثر.

انتهت المكالمة التليفونية وكان الأصدقاء جميعًا قد سمعوها، فقال «مُحب»: إذن فقد وقع «فوزي» ... إنه في الغالب هو الذي ارتكب الحادث.

تختخ: ممكن ... خاصةً إذا ثبت أن «محسن» دفع إيجار غرفته فكة ... لقد سرقها «فوزي» ودفعها لسد العجز؛ فقد كان العجز الذي عنده قيمته ٢٧٫٥ جنيهًا ... وهذا يعني

أنه دفع ورقتَين من فئة «العشرة جنيهات»، ثم دفع خمسة جنيهات وجنيهَين ونصف جنيه ... وهو المبلغ الفكة الذي كان مع مدام «روز»، والذي أخذته من «محسن».

نوسة: إن الأدلة كاملة ضد «فوزي» ... وسيُضطر إلى الاعتراف.

مضت فترةٌ من الوقت ودقَّ جرس التليفون مرةً أخرى ... وكان الأصدقاء لم يُغادروا مكانهم حوله، فردَّ «تختخ» على الفور، وكان المتحدِّث هو المفتش «سامي» الذي قال: لقد قال «محسن» إنه دفع الإيجار فكة، أي خمسة جنيهات وجنيهَين ونصف جنيه ... وإن مدام «روز» أخذت المبلغ ووضعته تحت المخدة.

تختخ: هذا ما توقَّعتُه بالضبط ...

المفتش: هل هذا يُؤدِّي إلى تغييرٍ في موقف المتهم؟

تختخ: لا أدري بعد ... وحتى تحضروا إلينا، سأكون قمتُ ببعض التحريات.

المفتش: إن «فوزي» في الطريق الآن إلى القاهرة، وبمجرَّد وصوله سوف أُحضره معي إلى قسم «المعادي».

تختخ: ستجدنا في «البنسيون» ... وبالمناسبة أنا متنكرٌ في شكل شاب ذي شارب رفيع، حتى لا تظنني متهمًا جديدًا.

ضحك المفتش على هذه النكتة ... ثم انتهت المكالمة ... والتفت «تختخ» إلى الأصدقاء قائلًا: سأرتدي الآن ثياب التنكُّر مرةً أخرى وأذهب إلى «البنسيون»، وعليكم أن تحضروا إلى هناك بعد نصف ساعة وتسألوا عني؛ فقد أحتاج إلى مساعدتكم.

بعد دقائقَ كان «تختخ» المتنكِّر في طريقه إلى «البنسيون» وقد استغرقته الخواطر.

وكانت الساعة قد اقتربت من الثالثة، وكان «كامل» قد عاد من عمله، فصعد «تختخ» إليه في غرفته، ووجده يجلس في مقعدٍ مواجه للنافذة، وقد بدت عليه علامات التفكير ...

قال «تختخ»: كيف الحال؟

كامل: آسف جدًّا ... إذ تركت «فوزي» يفر منا ... لقد ظلِلت مستيقظًا حتى الرابعة والنصف تقريبًا ... وتصوَّرت أنه لن يُغادر «البنسيون» فاستسلمت للنوم ...

تختخ: لا بأس ... لقد قبض رجال الشرطة على «فوزي» ...

كامل: وهل اعترف؟

تختخ: لا ... إنه مُصرٌّ على أنه لم يرتكب السرقة ... ولكن هناك أدلةً جديدةً على أنه هو اللص ...

بدت على وجه «كامل» علامات الاهتمام الشديد وقال: أدلةٌ جديدة؟!

تختخ: نعم ... لقد ثبت أن «محسن» قد دفع لمدام «روز» إيجار غرفته سبعة جنيهات ونصف جنيه فكة، ولكن عندما حضر بائع اللبن في الحادية عشرة إلا ربعًا تقريبًا لم يكن معها فكة، ولمَّا كانت لم تُغادر غرفتها فلا بد أن شخصًا دخل في الفترة بين العاشرة والنصف والحادية عشرة إلَّا ربعًا، وأخذ منها الفكة لسببٍ أو لآخر ... وهذا الشخص يُهمُّنا معرفة من هو؛ لأن ذلك سيُعيد التحقيق من جديد.

قال «كامل» بصوتٍ مرتعش: إذن فسوف يُفرج عن «محسن»؟ ذلك شيءٌ رائع حقًّا.

عاد «كامل» إلى الحديث فقال: للأسف فإنني سوف أُغادر «البنسيون» قريبًا؛ لقد وجدت شقةً صغيرةً في القاهرة، وسأنتقل إليها حتى لا أُسافر كل يوم بين «المعادي» والقاهرة ... وتمَّت الموافقة على الطلب.

أحسَّ «تختخ» أن «كامل» لا يُريد الاستمرار في الحديث وتركه وخرج، وقد شغلت باله هذه الهجرة المفاجئة من «البنسيون»؛ فإن السرقة وموت مدام «روز» دفعا النزلاء إلى مغادرة المكان ...

ذهب «تختخ» إلى غرفته في انتظار حضور المفتش، وأخذ يُفكِّر بعمقٍ في الحادث من جميع نواحيه، ويتصوَّر كيف وقع ... وبعد لحظاتٍ سمع «حسنية» تناديه، فأدرك أن الأصدقاء قد وصلوا، فنزل إليهم وجلسوا في صالة «البنسيون»، يتناولون المشروبات المثلَّجة ويتبادلون أحاديث بعيدةً عن القضية حتى لا يُثيروا انتباه أحد ... وخطرت ببال «تختخ» فكرةٌ مفاجئة ... من الذي دفع إيجار الست «دولت» في هذا اليوم؟ هل هو «محسن» كالمعتاد، أم «كامل»، أم أنه شخصٌ آخر من نزلاء «البنسيون» أو العاملون فيه ...؟ إن الإجابة عن هذا السؤال قد تُؤدِّي إلى دليلٍ جديد في القضية ...

وهكذا طلب «تختخ» من الأصدقاء العودة إلى منازلهم للغداء ... ثم صعد إلى الست «دولت» فوجدها تتغدَّى في غرفتها، فدعته إلى مشاركتها الغداء ولكنه شكرها ... ثم غادر الغرفة على أن يعود إلى مقابلتها بعد الغداء.

ذهب «تختخ» إلى غرفته في انتظار تليفون المفتش «سامي»، وطلب بعض «السندوتشات» للغداء، ثم ارتاح قليلًا ...

بعد ساعةٍ دقَّ جرس التليفون وارتفع صوت «حسنية» يطلبه ... فأسرع إلى التليفون حيث وجد المفتش يتحدَّث إليه من قسم «المعادي» قائلًا: لقد وصلنا إلى القسم ومعنا «فوزي»، أرجو أن تحضر فورًا.

لم تمضِ دقائق حتى كان «تختخ» قد وصل إلى القسم، ولكن الشاويش «فرقع» الذي كان يقف قرب الباب منعه قائلًا: إن المفتش يُحقِّق قضية هامة، ولن يستقبل أحدًا الآن ...

قال «تختخ» للشاويش: أرجو أن تقول للمفتش إن أحد أقرباء «محسن» ويُدعى «توفيق» يُريد مقابلته.

بعد لحظاتٍ كان «تختخ» يجلس بجوار المفتش الذي عرفه طبعًا.

تبادل «تختخ» والمفتش حديثًا هامسًا، ثم قال المفتش لـ «فوزي»: نحن آسفون للقبض عليك بهذه الصورة، ولكن هناك أدلة قوية ضدك ... فإنك غادرت المصنع يوم حادث السرقة لإحضار ٢٧٫٥ جنيهًا، هي قيمة النقص الذي في عهدتك، وقد حضرت إلى «البنسيون» وقابلت «فتحي» بائع اللبن ... ثم عدت إلى الشركة ودفعت النقود ... فمن أين أحضرت النقود؟ ولماذا لم تتقدَّم بالشهادة؟

كان «فوزي» يبدو شاحبًا ومضطربًا، وقد بدا عليه التعب الشديد ... فأخذ ينظر حوله، ثم قال: إنني فعلًا خرجتُ من الشركة يوم الحادث وذهبت إلى «البنسيون»، ولكني لم أصعد إلى الدور الثاني ولم أُقابل مدام «روز» في ذلك اليوم على الإطلاق ...

المفتش: بدلًا من المحاورة غير المجدية قل لنا كيف قضيت هذا اليوم، منذ الصباح حتى عودتك إلى «البنسيون» في الساعة الرابعة.

فوزي: أُقسم لك ... إنني سأقول لك الحق ... كل الحق ... ولا شيء إلَّا الحق.

وأحسَّ «تختخ» أن «فوزي» يقول الحق فعلًا ... فأخذ يُنصت إليه باهتمام، وقد دارت برأسه سلسلة متشابكة من الأفكار، ومضى «فوزي» يقول: في هذا الشهر بدأتْ لجنة الجرد تجرد كل العُهَد التي عند الموظفين، وقد كان في عُهدتي نقص قدره ٢٧٫٥ جنيهًا ... وقد تحفَّظت لجنة الجرد على مرتبي البالغ ١٨ جنيهًا حتى أُسدِّد بقية العجز، وهكذا جاء أول الشهر ولم يكن في إمكاني تسديد أجرة الغرفة ... ولم تكن مدام «روز» تسمح بتأخير الدفع ... ولهذا قرَّرت ترك «البنسيون» لأقيم مع صديقٍ في غرفةٍ إيجارها الشهري ثمانية جنيهات، أي يدفع كلٌّ منا أربعة جنيهات.

وسكت «فوزي» ... قليلًا ... ثم قال: وفي يوم الخميس السابق على السرقة أمهلتني اللجنة يومًا واحدًا لتسديد بقية العجز وإلَّا أُوقفت عن العمل، وفي ذلك اليوم ... الخميس، استطعت جمع بقية المبلغ من أصدقائي، ولكن للأسف عندما ذهبت إلى الشركة يوم الجمعة نسيتُ المبلغ في «البنسيون»، وهكذا أخذت إذنًا من الشركة لإحضار المبلغ وعدت فعلًا وأخذته، ثم مررت بصديقي الذي سأسكن معه، وهو موظَّفٌ حكومي وإجازته يوم الجمعة؛ لأخبره بأنني سأنتقل للشقة معه في اليوم التالي، وقد قضيت معه بعض الوقت، ثم عدت إلى الشركة.

المفتش: ولماذا لم تتقدَّم بشهادتك؟

فوزي: لقد وجدت رجال الشرطة قد قبضوا على المتهم، وعندهم الأدلة كلها فلم أجد دافعًا للتقدُّم بالشهادة، ولم يسألني أحدٌ وخشيت أن يسألوا عن ظروفي وحالتي المالية، فيتصوَّروا أنني مشتركٌ في الحادث، أو أي شيء، فسكت وطلبت من بائع اللبن الذي قابلني عند باب «البنسيون» السكوت أيضًا، خاصةً أنه شرح لي ظروفه هو الآخر.

المفتش: على كل حال يمكن التأكُّد من صحة هذه المعلومات … فمن هم زملاؤك الذين اقترضت منهم النقود؟ ومن هو صديقك الذي ذهبت إليه في ذلك اليوم …؟

أعطى «فوزي» أسماء أصدقائه وعنوان صديقه الموظَّف، فكلَّف المفتش بعض الضبَّاط للتأكُّد من صحة المعلومات وخرجوا فورًا، واندفعت صفَّارات السيارات وهي تُسرع بهم بعيدًا.

التفت المفتش إلى «فوزي» قائلًا: ولماذا إذن غادرت «المعادي» مسرعًا … وذهبت إلى «الإسكندرية»؟

فوزي: في الحقيقة إني نويت أن أعود إلى «الإسكندرية» لأبحث عن عملٍ هناك، وقد قلت للأستاذ «توفيق» هذا الكلام … ولكن عدت وقرَّرت البقاء في الشركة، وقد سافرت لـ «الإسكندرية» لإحضار بعض النقود من والدي، لأواجه بها مصاريف الشهر.

مال «تختخ» على المفتش وهمس في أذنه: يبدو أنه يقول الصدق، وسوف يعود رجالك ليتأكَّدوا من صحة كلامه.

المفتش: في هذه الحالة نعتذر له ويكون كل ما فعلناه بلا سبب، ويبقى «محسن» هو المتهم الوحيد.

تختخ: على العكس، إن ما فعلناه لم يكن بلا فائدة؛ فكل ارتيابي كان موجَّهًا إليه، وإن صدق كلامه فهذا يُؤيِّد شكوكي السابقة في شخصٍ آخر كنت قد استبعدته لكثرة الأدلة ضد «فوزي»، فقد بدأت أشك في شخصٍ آخر؟

المفتش: غير معقول! … هل نبدأ تحريات أخرى؟

تختخ: أبدًا … ولكن سوف أقوم بتجرِبةٍ قد تُثبت صحة شكوكي.

المفتش: ومن الذي تشتبه فيه هذه المرة؟ لعلك تشتبه في السيدة «دولت» باعتبارها كانت الوحيدة الباقية في «البنسيون» في ذلك اليوم؟

تختخ: لا ليست «دولت» من أُفكِّر فيه … إنه شخصٌ لم نُفكِّر في اتهامه من قبل.

المفتش: من هو؟

تختخ: بدلًا من إضاعة الوقت في الكلام تعالَ معي.

المفتش: إلى أين؟

تختخ: إلى «البنسيون» واترك خبرًا أنك هناك ... ولكن قبل كل شيء هل معك عشرة جنيهات ورقة واحدة؟

المفتش: نعم، لماذا؟ هل تُريد شراء شيء؟

«تختخ» مبتسمًا: لا ... أُريد اختبار أعصاب شخص ما.

وخرج المفتش و«تختخ» مسرعَين بعد أن نبَّه المفتش على الشاويش بالاتصال به في «البنسيون» عند عودة الضبَّاط ...

ركب «المفتش» و«تختخ» سيارة المفتش واتجها إلى «البنسيون»، وفي الطريق روى للمفتش شكوكه واستنتاجاته حول الشخص الذي ارتكب الجريمة، ورسم خطةً معيَّنةً للإيقاع به.

دخل الاثنان «البنسيون» ... وصعدا بهدوءٍ على السلم، ثم دخل «تختخ» والمفتش إلى غرفة الست «دولت»، وكانت جالسةً في مكانها على الكرسي المتحرِّك تنظر من النافذة، فقال لها «تختخ»: آسف لإزعاجكِ وأُقدِّم لك المفتش «سامي» مدير البحث الجنائي ... ونُريد سؤالك بعض الأسئلة.

فزعت الست «دولت» قليلًا، ثم قالت: تفضَّلا، عَمَّ تُريدان أن تسألا؟

تختخ: هل عندك ساعة؟

السيدة: نعم، ولكنها عاطلة عن العمل منذ شهر، ولم أُرسلها للتصليح حتى الآن ...

تختخ: ومن أين عرفت أن الساعة كانت الثانية عندما سمعت صوت أقدام في الصالة وحدوث سقوط الجسم؟

دولت: إنني هنا منذ عشرين عامًا أجلس في هذا المكان، وأعرف مواعيد كل من يمر بالشارع أو يدخل «البنسيون»، وفي هذه الساعة بالضبط تمر سيارة الدكتور «سيف الدين» الذي يُعالج أحد المرضى بجوار «البنسيون» في مثل هذا الموعد منذ أربعة أشهر تقريبًا.

تختخ: ولكن من الممكن أن تكون الساعة الواحدة والنصف أو قبل ذلك أو بعد ذلك.

دولت: من الممكن طبعًا ... فلستُ أستطيع ضبط الوقت بهذه الدقة.

تختخ: وهل أنت التي دفعت إيجار غرفتك هذا الشهر؟

دولت: لا …

تختخ: من الذي دفعه؟ … هل هو «محسن» مثل كل شهر؟

دولت: لا … هذا الشهر دفعه «كامل».

تختخ: هذا ما كنت أُريد معرفته … هيا يا حضرة المفتش.

دقَّ «تختخ» باب «كامل» فسمع صوته بالداخل يقول: ادخل. فأشار للمفتش بالبقاء بجوار الباب ليسمع الحوار الذي سيدور بينه وبين «كامل»، ثم دخل وترك الباب مواربًا …

قال «تختخ»: آسف لإزعاجك مرةً أخرى …

كامل: هل قبضتم على «فوزي»؟ وهل اعترف؟

تختخ: نعم قبض عليه رجال الشرطة، ولكن سمعنا منه أقوالًا غريبة.

ارتبك «كامل» واصفرَّ وجهه، وقال: أي أقوال؟

تختخ: لقد قال إنه رآك نحو الساعة الواحدة قرب «البنسيون» يوم الحادث.

قال «كامل» … مضطربًا: آه، لقد مررتُ قرب «البنسيون» فعلًا ولكني لم أدخل …

تختخ: شيءٌ آخر … هل أنت الذي دفعت إيجار الست «دولت» إلى مدام «روز» هذا الشهر؟

كامل: لا … نعم … أقصد أنها أعطتني النقود فعلًا ولكني لم أدفعها … لقد كنتُ متعجِّلًا … وقد قلت لكم من قبلُ إنني لم أدخل حجرة مدام «روز» في ذلك اليوم مطلقًا …

أخرج «تختخ» الجنيهات العشرة من جيبه بحركةٍ مفاجئة، ثم قال: إذن فأنت لم ترَ هذه الورقة من قبل؟

نظر «كامل» إلى الورقة وقال: هذه الورقة؟

تختخ: إنها ورقة ذات عشرة جنيهات … كما ترى … تركها اللص في غرفة مدام «روز»، وقد وجدها رجال الشرطة ووجدوا بصمات اللص عليها.

وفجأةً انقضَّ «كامل» على «تختخ» وانتزع الورقة من يده صائحًا: لن تخرج من هنا حيًّا! من الذي أدخلك في هذه القضية؟! ومن أنت؟ …

ولكن قبل أن يتحرَّك «كامل» من مكانه كان المفتش قد دخل من الباب قائلًا: لا داعي لتصرُّفاتٍ طائشة، لقد وقعت وانتهى الأمر.

انهار «كامل» انهيارًا كاملًا وأخذ يبكي بصوتٍ مرتفع واعترف بجريمته، فأمسك به المفتش واقتاده إلى الخارج وحملته العربة أمام دهشة سُكَّان «البنسيون»، وانطلقت إلى قسم الشرطة …

كان بقية الأصدقاء قد علموا بوصول المفتش فذهبوا إلى القسم ... وهكذا اجتمع المغامرون الخمسة، وأخذ الجميع يستمعون إلى «تختخ» وهو يشرح كيف توصَّل إلى اللص ...

قال «تختخ»: لقد بدأتُ أشك في «كامل» منذ اللحظة التي قال لي فيها إن رجال الشرطة قد عثروا على النقود المسروقة تحت اللوح الثالث في غرفة «محسن»؛ فهذه المعلومات لم ترد في محضر الشرطة كما قالت الجرائد، بل لم يذكرها أحدٌ على الإطلاق ولا «محسن» نفسه؛ لأنها لم تكن شيئًا ذا أهمية في الحادث كله، المهم أن النقود وُجدت في غرفة «محسن»، وهو الدليل الأكيد على أنه هو اللص.

سكت «تختخ» قليلًا وكانت العيون كلها مسلَّطةً عليه، ثم مضى يقول: ثم قال «فتحي» بائع اللبن إنه عندما ذهب إلى مدام «روز» في الحادية عشرة إلَّا الربع لم يجد معها فكة، برغم أن «محسن» أعطاها سبعة جنيهات ونصفًا في العاشرة والنصف؛ أي إنه كان معها نصف جنيه وكانت تستطيع أن تدفع منه ثمن اللبن ... ولكن كل النقود التي كانت معها كانت من فئة «العشرة جنيهات والخمسة جنيهات» ... معنى هذا أن شخصًا ما قابل مدام «روز» بين العاشرة والنصف والحادية عشرة إلَّا الربع ... فمن هو؟ الثابت أن الموظَّفين الأربعة خرجوا من المنزل إلى أعمالهم ... وأن الشغَّالة «حسنية» و«عمر» الطبَّاخ كانا في السوق، و«سيد» سافر إلى «طنطا»، و«محسن» دفع لها الإيجار وانتهى الأمر ... إذن ف «كامل» هو الشخص الوحيد المحتمل أن يكون قد دخل غرفة مدام «روز» ليدفع لها الإيجار له وللست «دولت» ... وقد أعطاها خمسة عشر جنيهًا مكونةً من ورقة من فئة «العشرة جنيهات»، وورقة من فئة «الخمسة جنيهات»، وأخذ الباقي جنيهَين ونصفًا؛ لأن مجموع إيجاره وإيجار الست «دولت» هو اثنا عشر جنيهًا ونصف جنيه ... وهكذا أصبح كل ما مع مدام «روز» من نقودٍ أوراقًا كبيرةً من فئة «العشرة جنيهات والخمسة جنيهات»، ولكن «كامل» أنكر من قبلُ رؤيته لمدام «روز» يوم الحادث، ممَّا زاد من شكي في شخصه، وحاولتُ أن أنصب له فخًّا يسقط فيه ويجعله يعترف.

مُحب: لماذا أنكر أنه دفع الإيجار لمدام «روز»؟

تختخ: لأنه كان يُريد أن يُبعد الشبهات عنه تمامًا ...

المفتش: ولماذا اختار هذا اليوم بالذات لارتكاب جريمته؟

تختخ: لقد خطَّط للجريمة منذ وقتٍ طويل ... فهو يعرف تحرُّكات كل شخص في «البنسيون» ... ويعرف أن مدام «روز» تُخرج نقودها أول الشهر لتُسلِّم الإيرادات وتدفع المصروفات، فتكون النقود قريبةً منها ومنه أيضًا حتى لا يُضطر للبحث عنها.

لوزة: إنني لم أتصوَّر خطته كاملةً حتى الآن ...

تختخ: المسألة غايةٌ في البساطة ... لقد قرَّر أن يُلقي الشبهات على «محسن»، فخرج في الصباح قبله ليُثبت أنه بعيدٌ عن مكان الجريمة، وأن «محسن» هو الوحيد الباقي في «البنسيون» ... وذهب إلى القاهرة حيث قطع تذكرةً في مباراة الكرة، وقطعها واحتفظ بالكعب الذي أبرزه لرجال الشرطة ليُثبت وجوده في المباراة في أثناء وقوع الجريمة ... ثم عاد لـ «المعادي» حوالي الساعة الثانية، ودخل عن طريق نافذة غرفة «محسن»، وفتح الباب وسار بخطواتٍ مسموعة حتى تسمعه الست «دولت»؛ فتظن أنه «محسن»، ودخل إلى غرفة مدام «روز» وهو يظن أنها ليست موجودة، وقد ظنَّها قد نزلت إلى الدور الأرضي لتُشرف على «البنسيون» كالمعتاد ... ولكن يبدو أن مدام «روز» انتهزت فرصة غياب النزلاء، وقرَّرت أن تنام قليلًا، فدخل ووجدها نائمة، فلم يتردَّد في مد يده تحت المخدة وأخذ النقود، واستيقظت مدام «روز» على حركته من الغرفة، فرأته يحمل النقود ويخرج، فلم يحتمل قلبها الصدمة.

المفتش: وكيف دخل عن طريق النافذة؟

تختخ: لقد دخل عن طريق باب الحديقة الخلفي، وهو يعرف أن لا أحد يدخل في هذه الساعة، وعندما أصبح في الحديقة تسلَّق الشجرة وقفز إلى داخل الغرفة ومنها إلى غرفة مدام «روز»، حيث ارتكب جريمته وعاد من نفس الطريق ... ثم أسرع إلى القاهرة وعاد في المساء ليجد التهمة قد أُلصقت بـ «محسن» ... كما قدَّر ... وخاصةً أنه أخفى جزءًا من النقود المسروقة تحت خشب غرفة «محسن» لإثبات التهمة عليه ...

ونظر المفتش إلى «كامل» فوجده منكَّس الرأس، لا يستطيع رفع عينَيه إلى الموجودين، فأمر الشاويش بإيداعه الحبس ... ثم التفت إلى المغامرين الخمسة قائلًا: ... والآن إلى «الكازينو» كالمعتاد لنأخذ «الجيلاتي».

وانتهى لغزٌ جديد ... وما تزال هناك ألغازٌ أكثر غموضًا وتشويقًا ...


هنداوي